الرنوك على عصر سلاطين المماليك

الدكتور أحمد عبد الرازق أحمد

كلية الآداب — جامعة عين شمس

مما يدعو إلى الدهشة حقاً أن نجد على التحف المملوكية رسوما معينة عرفت فى العصر المملوكى باسم (الرنوك) وهى الشارات التى اختص بها السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة .

والرنك كلمة فارسية بكاف معقودة كالجيم المصرية بمعنى لون (١) . وقد استعمل المماليك هذه الكلمة فى مصر وسوريا منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) للدلالة على الشارة(٢) ، أو الشعار أو العلامة التى يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها دون غيره وذلك عند تأمير السلطان له .

وكان الرنك عبارة عن رسم لشىء معين — حيوان أو طائرة أو أداة كالبقجة والدواة والسيف . وقد يتألف من منطقة واحدة أو ينقسم إلى منطقتين أو ثلاث مناطق أفقية ، أكبرها عادة المنطقة الوسطى وهى تسمى باسم شطا أو شطف أو شطب(٣) .

والرنك قد يكون من لون واحد أكثر من لون وهو إما بسيط أو مركب

وكان يوضع على البيوت والأماكن المنسوبة إلى صاحبه كطابخ السكر وشون الغلال والأملاك والمراكب وغيرها . ويوضع على قماش خيوله من جوخ ملون مقصوص وعلى قماش جماله من خيوط صوف ملونة تنقش على العبى والبلاسات (٤) ونحوها وربما جعل على السيوف والأقواس والأدوات المعدنية والخشبية والزجاجية وغيرها(٥) .

وعلى الرغم من أن الرنوك قد لعبت دوراً هاماً فى عصر المماليك إلا أنها لم تحظ بعناية المؤرخين العرب فى العصور الوسطى الذين نجـــدهم لم يتعرضوا لها إلا فى بعض الحالات القليلة فى سياق كلامهم عن بعض الحوادث أو تراجم بعض الأمراء(٦) . الأمر الذى يدفع إلى الترجيح بأن الرنوك كانت أمراً مألوفاً لديهم فلم تستلفت النظر شأنها شأن الأشياء الشائعة فى ذلك الوقت .

وفى ضوء هذه المعلومات القليلة التى وردت فى المصادر العربية فى العصور الوسطى ومن خلال ما كشفت عنه الأبحاث الأثرية أمكن التعرف على بعض الرنوك التى كانت فى الغالب ذات صلة وثيقة بالوظيفة التى يشغلها المملوك حين تأميره ومنحه الرنك . ومن ثم أصبح هناك اشتراك فى الرنوك إذ أن هذه الوظائف كانت حقاً مشاعا بين المماليك الأمراء جميعاً(٧) .

وعلى هذا يمكننا القول بأن شعار الدوادار(٨)، الدواه(٩)، والطشتدار(١٠)، المسنية(١١) والسلحدار(١٢) السيف(١٣) ، والبندقدار(١٤) ، القوس(١٥) ، والأميراخور(١٦) ، حدوة الفرس(١٧) ، والجمدار(١٨) بقجة(١٩) وعلامة الجاويش(٢٠) قبة ذهب(٢١) والساقى(٢٢) شعاره الكأس(٢٣) والجوكندار(٢٤) شعاره عصوان البولو والكرة(٢٥) والجاشنكير(٢٦) شعاره خونجه(٢٧)، والعلمدار(٢٨) شعاره علمين(٢٩) والطبل دار(٣٠) شعاره طبلة وزوج من العصى(٣١) والبشمقدار(٣٢) شعاره على هيئة النعل(٣٣) والجمقدار(٣٤) شعاره

الدبوس(٣٥) والبريدى(٣٦) شعاره درع مستدير مقسم إلى ثلاثة أقسام(٣٧) ولا يبعد أيضاً أن يكون الطبردار(٣٨) قد إتخذ لنفسه شعاراً على هيئة الفأس(٣٩) أسوة بالجمقدار حامل الدبوس .

والدواة رنك الدوادار نجدها رسمت على أشكال متعددة إلا أنها كانت تتألف فى الغالب من أربعة عناصر رئيسية هى جزئين مستطيلين أو ثلاثة يوضحان موضع الأقلام البوص التى كانت تستعمل فى الكتابة وصندوق صغير يمثل ساعة رملية ودائرتين صغيرتين تمثلان موضعى الحبر والنشأ، وأخيراً فراغ على شكل نصف دائرة خصصت لقطعة من القماش كانت تستخدم غالباً فى تنظيف الأقلام وكثيراً ما كان هذا الشعار يضم معه شعارات أخرى تمثل رنوكا مركبة .

وقد وصلتنا تحف متنوعة تتضمن هذا الرنك . والطشت رنك الطشتدار وإن كنا لم نعثر على أية تحف تحمل هذا الشعار . أما السيف رنك السلحدار فقد وجد على أشكال متعددة(٤٠) ، فتارة نراه على هيئة حربة مستقيمة لها عارضة (وقاء) بعد المقبضين وتارة نراه سيفا مستقيما طويلا له عند مقبضه ذؤابتان وأحياناً نجده منحن يمثل مائل الوضع أو قائماً . وقد يضم الرنك سيفا أو اثنين(٤١) أو أكثر وقد يأتى مركبا مع شعار آخر فى وسطه أو إلى جانبه وقد يكون سيفان يحميان رمزا آخر(٤٢) انظر شكل (١) .

والقوس رنك البندقدار غالباً ما رسم على التحف المملوكية فى وضع رأسى سواء أكان بمفرده أومصحوبا بسهمين قد يكونا إلى يسار القوس(٤٣) أو إلى يمين القوس . وفى بعض الأحيان نجـــد الرنك يتضمن قوسين متعاقبين(٤٤) . ولقد وردت هـذه الوظيفة مصحوبة برنك القوس على رقبة مشكاة من مصر ترجع إلى سنة ٦٤٥ هـ محفوظة بمتحف المتروبوليتان وكان الرنك على هيئة قوسين ذهبيين متقاطعين(٤٥) .

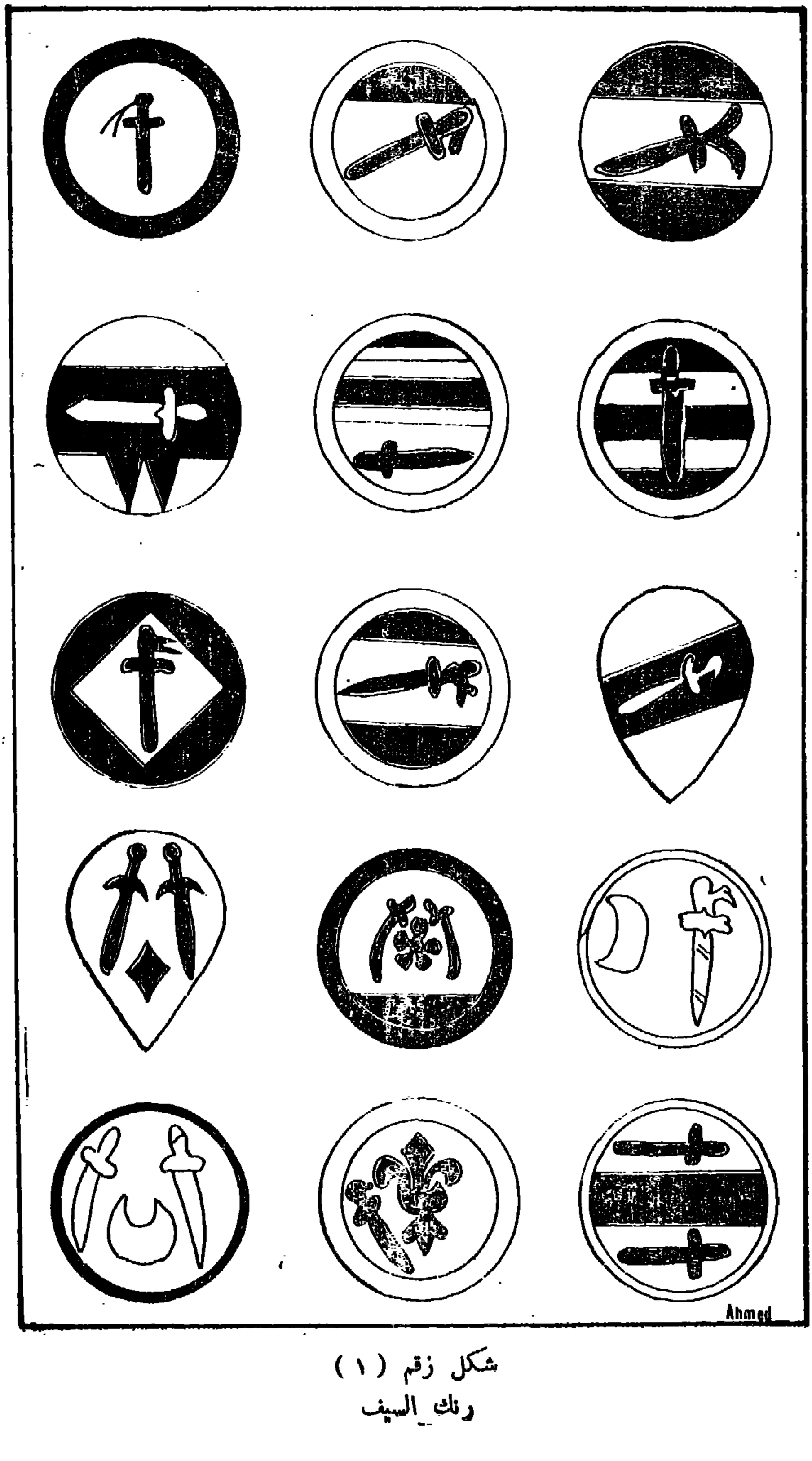

شكل رقم (١)
رنك السيف

وحدوة الفرس رنك الأمير أخور فقد ورد بكثرة على التحف المملوكية وكثيراً ماكان يرسم على هيئة دائرة مفتوحة من جزئها العلوى أوالسفلى أشبه بالهلال وكثيراً ماكان يصاحبه رموز أخرى مثل السيف أو بعض الحيوانات انظر شكل (٢) .

والبقجة رنك الجمدار(٤٦) غالبا ماترسم على هيئة مربع ذى أركان مرتفعة أو معين يمثل قطعة النسيج المربعة التى تطوى أطرافها تجاه الوسط والتى كانت توضع فيها الملابس المعدة للارتداء وقد يرسم فوق الوسط هذا دائرة صغيرة وهى إما ترسم مفردة أو ترسم مشتركة مع رموز أخرى كأن تكون محصورة بين سيفين(٤٧) أو يتضمن الرنك بقجتين أحدهما تعلو الأخرى وهى فى الحالة الأخيرة تمثل رنوكا مركبة انظر شكل (٣) .

والكأس رنك الساقى يعتبر أكثر الرنوك انتشاراً على التحف المملوكية(٤٨) وهو إما يمثل مفردا «أى كأسا واحداً» أو مركبا «عدة كئوس مع عناصر أخرى» لاسيما الدواة والسيف وقرون الباورد والنسر(٤٩) انظر شكل (٤) .

ولعل كثرة هـــذا الشعار مرجعها عناية الصناع بوضعه على ما يصنع لأصحابه من أدوات وما يبنى لهم من عمائر(٥٠) — وربما ترجع أيضاً إلى كثرة عدد السقاة من الخاصكية كثرة تفوق غيرهم من ذوى الوظائف الأخرى(٥١) . ومن المرجع أيضاً أن ابن الساقى كان يرث أحياناً عند تأميره رنك الكأس عن أبيه ولو لم يكن هو نفسه ساقيا مثل أحمد بن بكتمر ومحمد بن كتبغا وحسين بن قوصون(٥٢) .

أما عصوان البولو والكرة رنك الجوكندار فكانتا تشير إلى لعبة الجوكان أو الاكرة أو الكرة وهى اللعبة المعروفة باسم البولو . والجوكان عبارة عن عصا مدهونة طولها نحو أربعة أذرع وبرأسها خشبة مخروطة محدوبة تنيف عن نصف ذراع(٥٣) - ولقد وصلتنا أشكال مختلفة لهذا الرنك فهو إما يرسم بدون كرات أو تميز بوضع دوائر فى مواضع مختلفة كأن توضع دائرة أو كرة

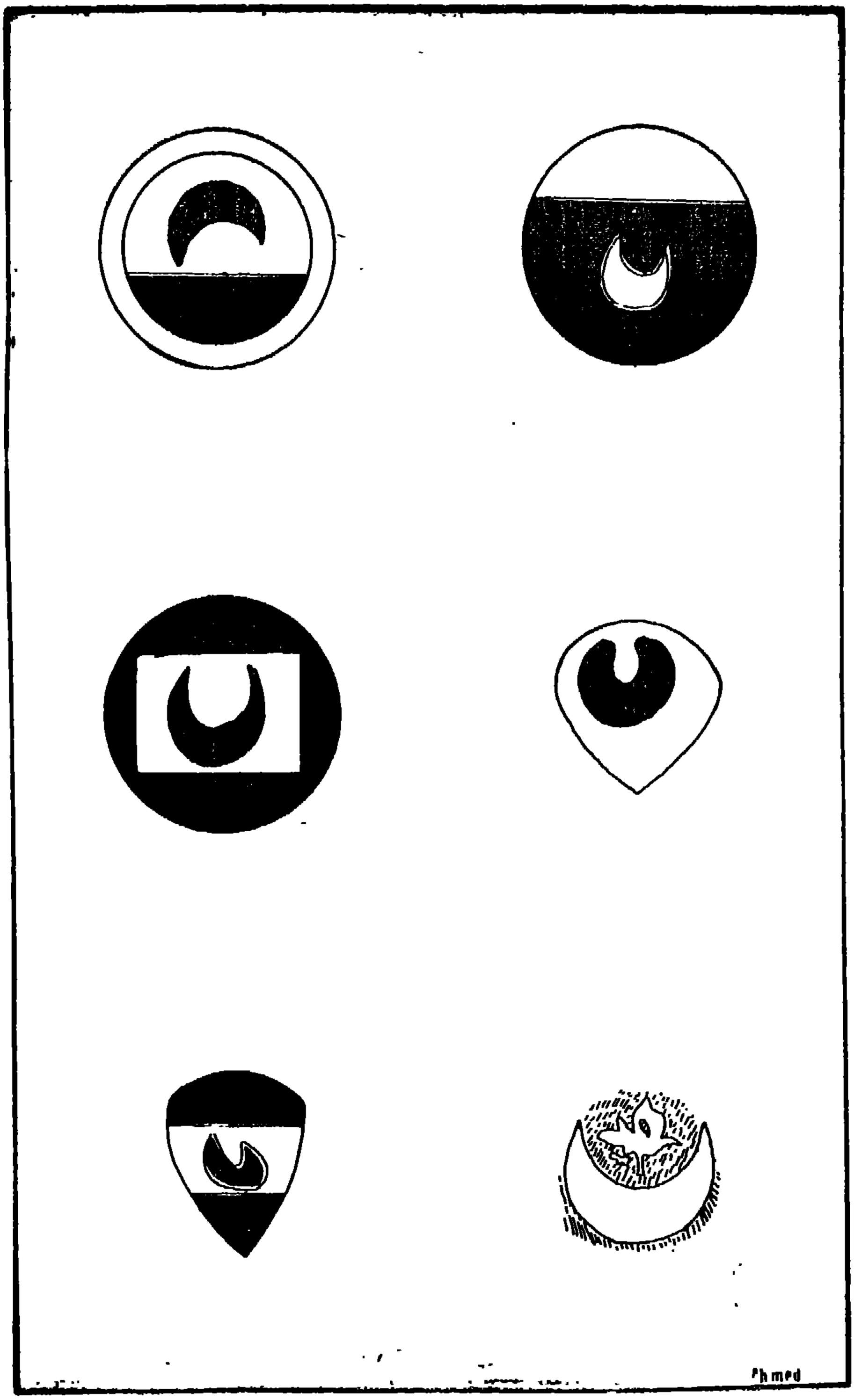

شكل رقم (٢)
رنك الحدوة

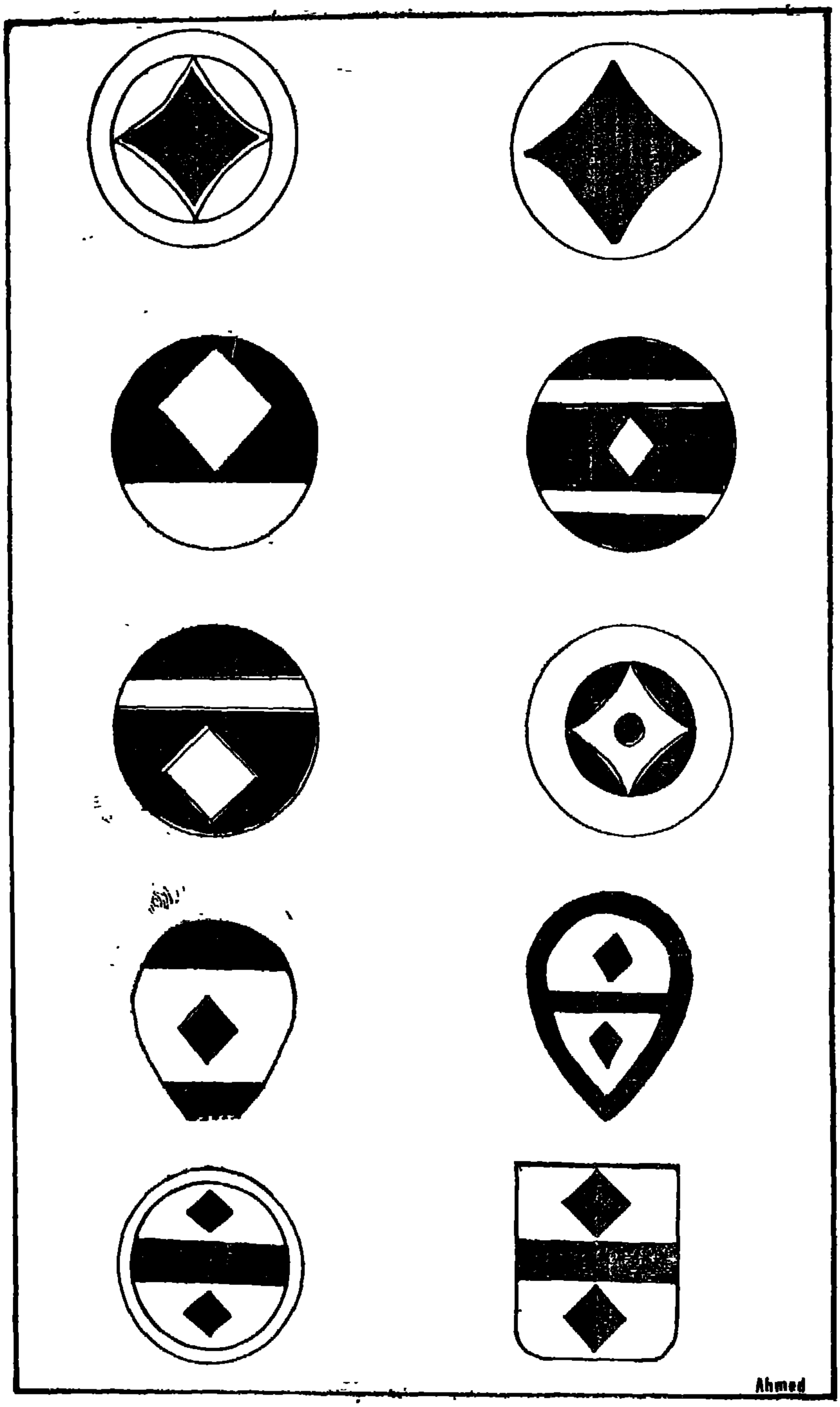

شكل رقم (٣)
رنك البقجة

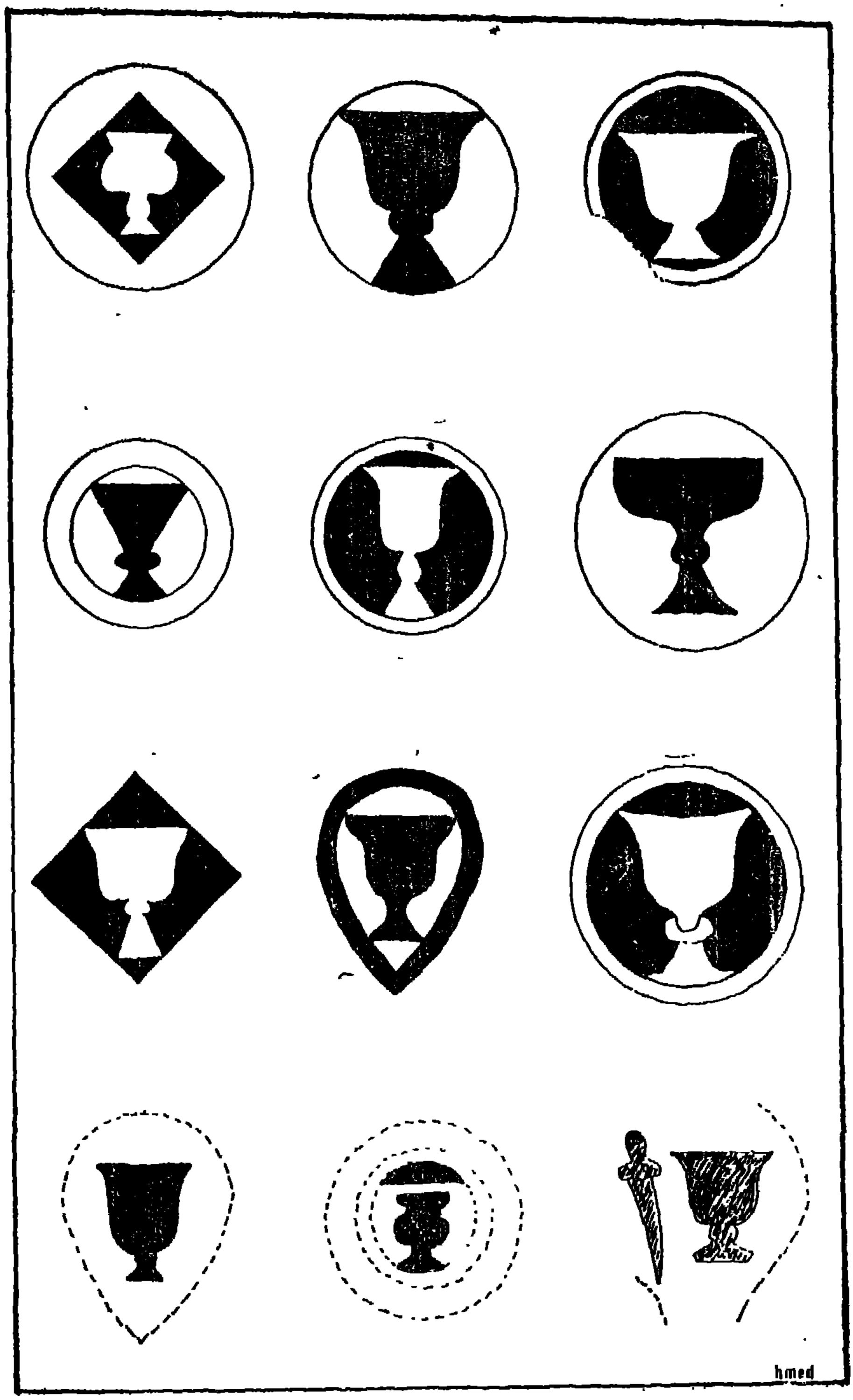

شكل رقم (٤)
الـكأس

عند كل عكفة عصا أو بين العصوين فى أعلى وقـــد تقطع الدائرة بوترمن أعلى(٥٤) .

والخونجة رنك الجاشنكير فلا زالت موضع أخذ ورد بين العلماء بالنسبة لشكلها رغم أنه وصلتنا كتابة أثرية باسم بكتوت القرمانى الجاشنكير بتاريخ سنة ٧٠٩ / ١٣٠٩ من ضريح الشيخ مسعود بالقاهرة ومحفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة(٥٥) وكان رنكه على هيئة خوان « خونجا »(٥٦) فى حين أشار مارتن إلى شكل آخر يزين سلطانيه محفوظة بمتحف برلين واعتبرها خونجة ونسبها إلى أيبك(٥٧) .

كذلك أشار أرتين إلى شكل ثالث(٥٨) يشبه تلك القواعد المعدنية(٥٩) والفخارية المطلية التى تعرف عادة باسم الكراسى وهى ذات أشكال أسطوانية قطر فتحتها العليا والسفلى أوسع من قطرها فى الوسط وكانت تستخدم فيما يبدو لوضع الصوانى التى يقدم عليها الطعام . فترى أى من هذه الأشكال كان يرمز إلى رنك الجاشنكير ؟ يبدو لنا أن الشكل الأخير الذى أشار إليه أرتين هو أقرب هذه الأشكال إلى الخونجة رنك الجاشنكير ، وذلك اعتماداً على ما ذكره الرحالة ابن بطوطة عنها إذ يقول : « مائدة نحاس يسمونها خونجة ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطالم(٦٠) » . أما بالنسبة لذلك الرنك الذى ورد مصحوبا بكتابه أثرية باسم الجاشنكير فليس بقياس إذ كثيراً ما ترد رنوكا مصحوبة بوظائف لا تمت إلى الرنك بأى صلة(٦١) .

والعلم رنك العلمدار فقد وصلتنا بعض أمثلته على بعض التحف المملوكية وهو إما يمثل على هيئة علمين متدابرين يخترقان أقسام الرنك الثلاثة فى وضع عمودى أو يمثل على هيئة علم واحد تتجه رايته جهة اليمين(٦٢) انظر شكل (٥) هـ ، و .

والطبلة رنك الطبلدار فقد وصلتنا بعض أمثلتها على التحف والآثار

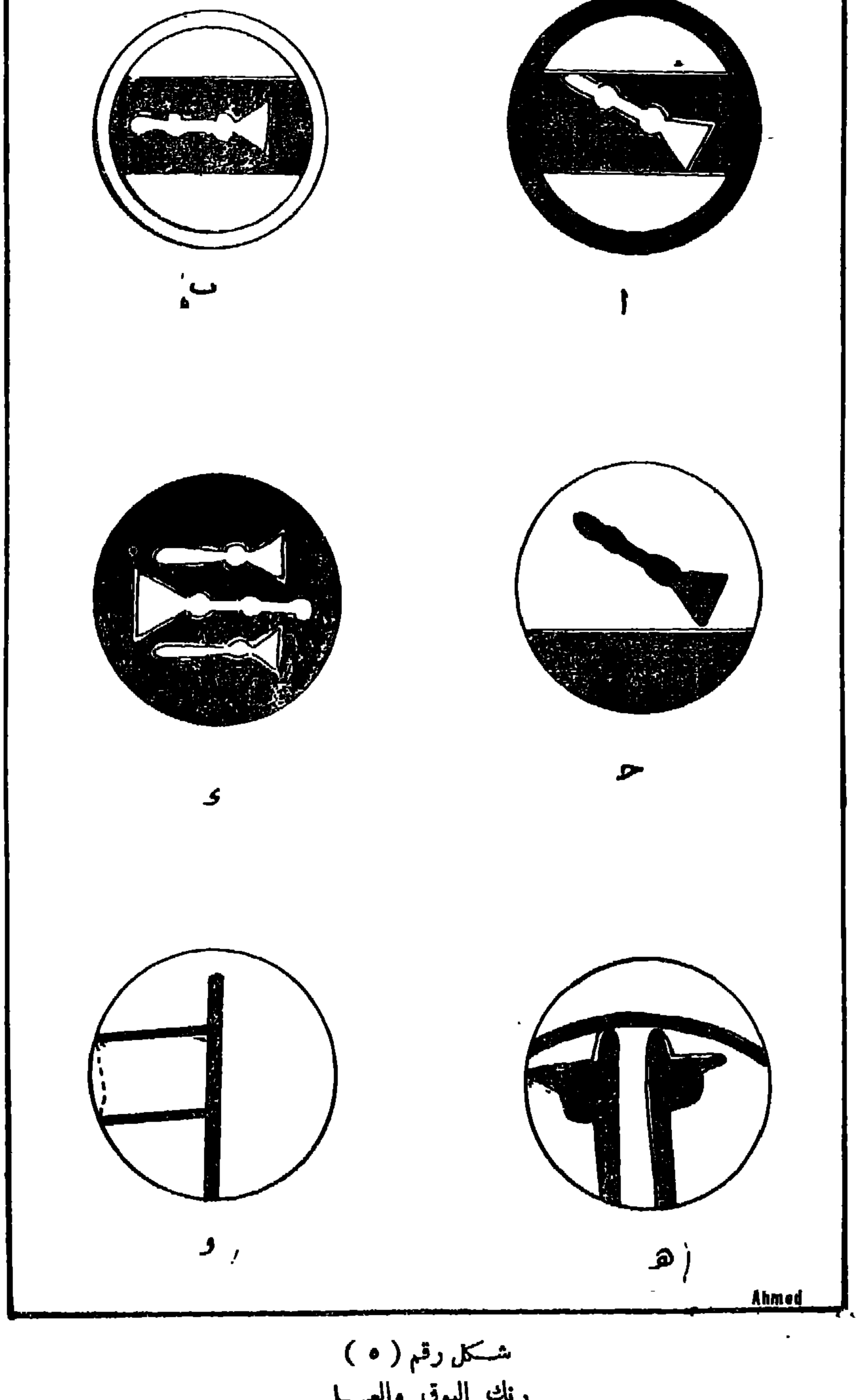

شكل رقم (٥)
رنك البوق والعلم

العربية وهى غالباً ما تمثل على هيئة الترس أو الدرع المدبب الطرف فوق المنطقة الوسطى من مناطق الرنك الثلاث(٦٣) وفى بعض الأحيان يحف بها زوجان من العصى .

والنعل رنك البشمقدار لم نصادفه على أى من التحف والآثار العربية ولعل هذا راجع إلى ضآلة مركزه(٦٤) .

والدبوس رنك الجمقدار يمثل آلة من آلات الحرب فى العصور الوسطى تشبه الإبرة كانت تصنع من عود طوله نحو قدمين من الخشب الغليظ فى أحد طرفيه رأس من حديد قطرها ثلاث بوصات تقريبا(٦٥) وقد ورد بكثرة على التحف المملوكية إما مفردا يتوسط الرنك فى وضع أفقى أو فى وضع مائل(٦٦) أو فى وضع عمودى وقد وصلتنا كسرة من الفخار المطلى تتضمن رنك الدبوس وكتابة باسم الخليلى الجمقـــدار كانت بمجموعة غالب بك بالقاهرة(٦٧) وهو غالبا مايمثل فى هيئة تبدو أشبه بالبرق .

ومن الرنوك التى كانت ذات صلة بالوظيفة التى يشغلها الأمير يمكننا أن أن نضيف العلامة التى على شكل قرن والتى فسرها ماير بأنها تدل على القرن الذى كان يحفظ فيـه البارود(٦٨) وذلك لأن أول ظهورها كان فى رنوك الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى عندما عم استعمال البارود فى الأسلحة ويحتمل أنها كانت شعارا للفرقة التى كانت تشرب كأس الفتوة وترمى البندق باسمه وكانت تقوم بألعابها خارج المدينة من أهمها رمى الحمام وكانت خاضعة للسلطان له أن يدخل فيها من يشاء ويخرج من يريد(٦٩). ومن الملاحظ أن هذا الرمز قلما وجد منفردا وإنما يجىء غالبا يحف بأحد الرموز الأخرى من كلا الجانبين وجدير بالذكر أن هذا الرنك لم يرد على بعض التحف المملوكية التى بين أيدينا الآن .

وهناك أيضا رنك البوق وقد ورد بكثرة على التحف المملوكية ولعله

مجرد إشارة للأمرة إذ كان من شارات الأمرة البوق والعلم(٧٠) انظر شكل (٥) أ ، ب ، جـ ، د . وإلى جانب هذه الرنوك التى شاع استخدامها فى العصر المملوكى وأمكن تفسيرها لارتباطها بالوظائف فى البلاط المملوكى وجدت مجموعة من الرموز الغامضة تزين التحف العربية المملوكية ولعل أهمها رسم البغل الذى يطلق عليه البعض شارة بغل البريدى(٧١) . رغم أن رنك البريدى كان يمثل عادة على هيئة درع مستدير مقسم إلى ثلاث أقسام وقد ورد هذا الرنك مصحوبا بالكتابة الأثرية باسم علاء الدين البريدى(٧٢) .

إلا أنه يبدو لنا أن رنك البريدى كان بهذه الهيئة فى بادىء الأمر ثم جاء بعض الأمراء ممن تقلدوا هذه الوظيفة ولم يرق لهم هذا الرنك الخفل من الرمز فأخذوا من بغل البريد رنكا لهم ليرمز إلى وظيفتهم لاسيما وأن لفظة برد جمع بريد يقال أنها فارسية معربة وأصلها بالفارسية بريده دم أى مقصوص الذنب وقد سمى بذلك لأن بغل البريد عند الفرس كان يقص ذنبه علامة على أنه من بغال البريد(٧٣) .

ومن الرموز التى تبدو غامضة أيضا رسم رقعة الشطرنج(٧٤) التى غالبا ماتمثل على هيئة منطقة مستديرة . ترى إلى أى شىء كانت تشـــير ؟ من المعروف أن سلاطين المماليك قد شغفوا بلعبة الشطرنج كما قاموا بلعبها مع المقربين إليهم من الأمراء والعلماء والأدباء(٧٥) بل حرص بعضهم إذا خرج فى أسفاره أن تحمل معه كمية ضخمة من العاج برسم خرط الشطرنج حتى إذا لعب السلطان بشطرنج مرة أخذه بعد ذلك أرباب النوبة وجدد غيره للسلطان(٧٦) .

كذلك من المعروف أن المماليك الذين كانوا يقومون عند مبيت السلطان بالسهر على حراسته وتقسيم الليل بينهم ، حرصـــوا على القيام بلعب الشطرنج(٧٧) ، أثناء قيامهم بنوبات الحراسة حتى يصرفون النوم عن

أجفانهم . ومن هذا يتضح لنا أهمية هذه اللعبة البالغة إبان ذلك العصر كوسيلة من وسائل التسلية فلا غرو أن يكون المشرف على الشطرنج السلطانى قد اتخذ من رقعة الشطرنج رنكا له شأنه فى ذلك شأن أغلب موظفى البلاط السلطانى الذى كان يتخذ كل منهم رنكا يشير فى الغالب إلى وظيفته .

ومن الرنوك الغامضة أيضاً الرنك الذى يتألف من خمسة قضبان على درع مستدير انظر شكل (٦) وهو كثير الورود على الآثار العربية والتحف المملوكية . والواقع أنه لا يمكننا القول بأنه كان يعنى وظيفة بعينها إذ أنه ورد على ثلاث من التحف تشير كل منها إلى وظيفة متنوعة : الأولى على سلطانية من النحاس تتضمن كتابة أثرية باسم « الجناب العالى السيفى سيف الدين بهادر استادار مولانا الملك الأمراء كافل الممالك الشريفة بالشام المحروس(٧٨) » . والثانية على سلطانية من النحاس أيضاً تحمل كتابة باسم « الجناب العالى المولوى الأمير الكبير . السيفى سيف الدين قشتمر شاد الدواوين بالديار المصرية عز أنصاره(٧٩) » .

والثالثة على أبريق محفوظ بمتحف بولوينا عليه كتابة أثرية نصها « برسم الجناب العالى طرنطاى الطباخى(٨٠) » . الأمر الذى يدفعنا إلى اعتباره مجرد شكلا زخرفيا أو أنه كان يشير فى بادىء الأمر إلى وظيفة بعينها إلا أنه بعد أن ترك للأمراء حرية إختيار رنوكهم . اتخذه عدد منهم من ذوى الوظائف المتنوعة كما تشير بذلك الكتابات الواردة على التحف الثلاث السابق الاشارة إليها .

وإلى جانب هذه الرنوك التى تدل فى الغالب على الوظائف وجدت رنوك أخرى من الصعب تعليل إختيارها فهناك رنك الهدف ورنك الصليب ورنك زهرة اللوتس أو الزنبق(٨١) ورنك الوريدة . والهدف كان مستعملا فى لعبة الرماية المعروفة باسم القبق(٨٢) . ولعبة القبق هى أن ينصب صار طويل من خشب

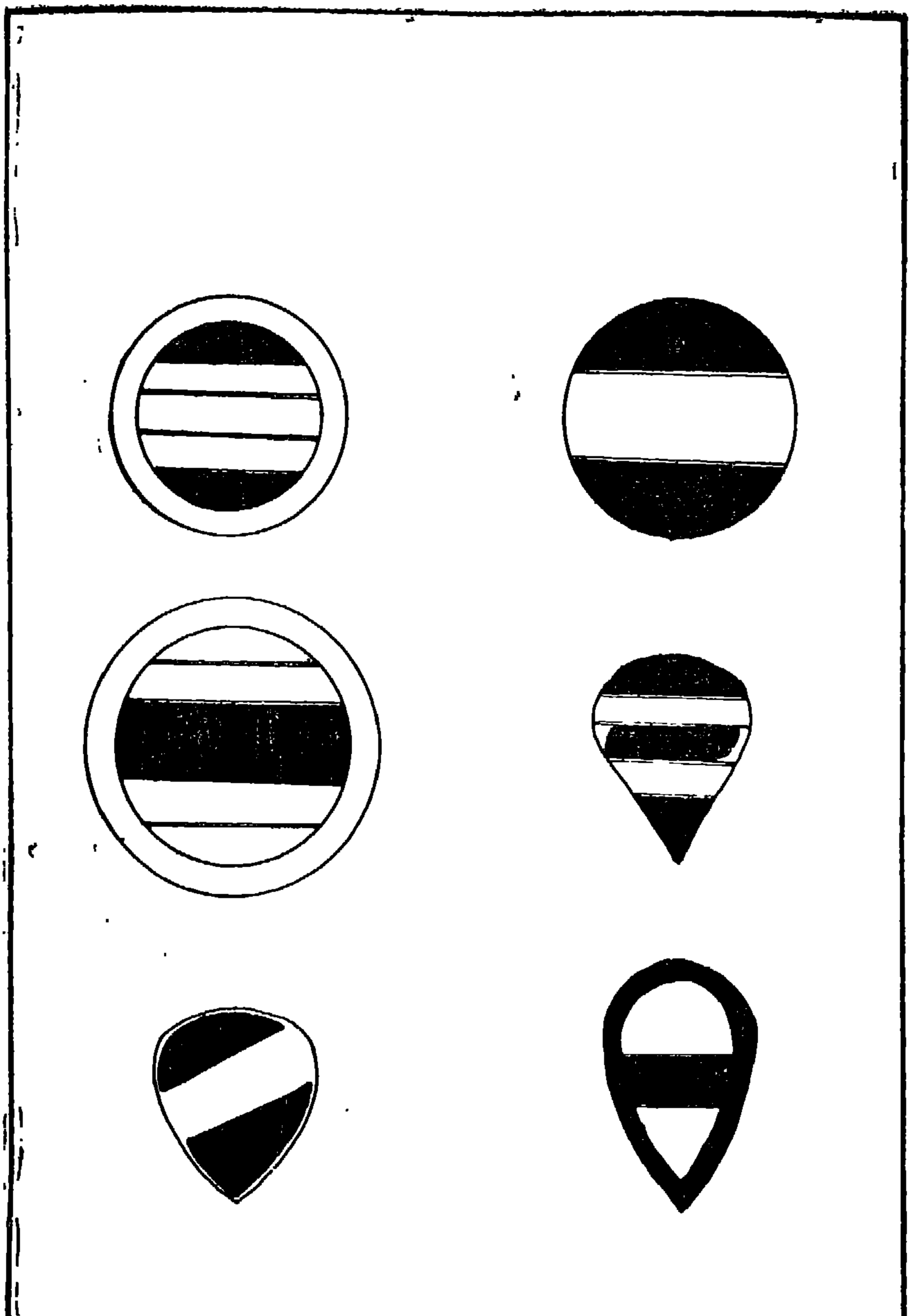

شكل رقم (٦)
رنك الشطف (البريدي ؟)

يكون فى رأسه شكل قرعة من ذهب أو فضة بمثابة هدف ويكون فى القرعة طير حمام ثم يأتى اللاعبون للمباراة فى رمى الهدف بالنشاب أو السهام وهم على ظهور الخيل فمن أصاب القرعة وأطار الحمام حاز السبق وأخذ القرعة المعدنية نفسها مكافأة له(٨٣) . الأمر الذى يدفعنا إلى الترجيح بأن هذا الرنك لا يشير إلى وظيفة معينة وانما يبدو لنا أنه كان بمثابة هدية أو منحة من السلطان للملوك أو الأمير الذى يجيد التصويب ويحرز الهدف تميزا له على غيره من الأمراء. وهو غالباً ما يمثل على هيئة هدف التصويب سواء على شكل قرص مستدير أو على هيئة مروحة موضوعة على قاعدة مثلثة وفى جزئها العلوى يوجد ثقب يتدلى منه سهم متحرك ولقد ورد هذا الرمز بكثرة على التحف المملوكية .

ووصلتنا أنية تتضمن هذا الرنك وتحمل كتابة باسم أحد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون يدعى فرجى(٨٤) .

أما الصليب فمن المعروف أنه يعتبر من أقدم الرموز استعمالا منذ القرن الثالث الميلادى حيث أصبح بمثابة الرمز الكامل للمسيح أو بمثابة علامة الدين المسيحى عامة ويعنى غفران الخطايا والخلاص .

ومن المعروف أن للصليب أشكال متعددة إلا أن أهم أشكاله اثنين هما الصليب اللاتينى والصليب اليونانى . أما اللاتينى فهو بمثابة عمودين متعامدين ونقطة تقابلهما تكون فى الوسط وله ثلاثة أطراف متساوية . أما الطرف الرابع وهو السفلى فأطول ويقال أن المسيح صلب على صليب من الشكل اللاتينى وهو نادر الوجود على بعض التحف المملوكية .

أما الصليب اليونانى فهو ذو أربعة أضلاع متساوية ويستعمل للدلالة على كنيسة المسيح ويرمز به إلى تضحية المسيح من أجل خلاص البشر(٨٥) .

ولقد ورد هذا النوع الأخير بكثرة على التحف المنسوبة إلى العصر

المملوكى انظر شكل (٧) . ولا شك أن رنك الصليب هذا كان يرمز به إلى مستوفى الديوان من المسيحيين(٨٦) فى العصر المملوكى أى أنه يمكننا اعتباره من الرنوك الدالة على الوظائف فى ذلك العصر .

وزهرة اللوتس التى مثلت بكثرة على التحف المملوكية سواء مفردة (٨٧) أو مركبة مع رموز أخرى (٨٨) . مثلت مختلفة فى جميع الشعارات من حيث تكوينها وشكل وريقاتها ونهاياتها العليا والسفلى انظر شكل (٨)، عرفت فى الشرق منذ عهد قديم (٨٩) كما اتخذها نور الدين محمد بن زنكى شعارا له (٩٠) ـ على محراب المدرسة التى شيدها فى دمشق بين عامى ٥٤٩ — ٥٦٩/ ١١٥٤ — ١١٧٣ وفى عمودين بالمسجد الجامع فى حمص أيضاً . وقد استمر ظهورها على العملة الأيوبية كذلك على بعض العملة المملوكية فضلا عن بقية التحف الأخرى الأمر الذى دفع البعض (٩١) إلى الاعتقاد بأنها لم تكن رنكا بل كانت رسماً زخرفياً فحسب . والواقع أنه يبدو لنا أن زهرة اللوتس هذه كانت رنكا شخصياً مجرداً لا يعنى ولا يرمز إلى شىء بعينه يتخذه كل السلاطين والأمراء على حد سواء ولعل فى وروده بكثرة على الآثار والتحف العربية ما يؤيد وجهة نظرنا هذه . وان كانت هذه الزهرة قد لعبت دوراً هاماً كأحد العناصر الزخرفية فوق منتجات العصر المملوكى .

كذلك من الرنوك النباتية التى وردت بكثرة على التحف التى بين أيدينا إما مفردة أو مركبة رنك الوريدة . وجدير بالذكر أن أسرة بنى رسول باليمن اتخذوا من الوريدة ذات الخمس وريقات شعاراً لهم إذ ذكر القلقشندى أن « شعار سلطان اليمن كان وردة حمراء فى أرض بيضاء » كذلك أضاف نقلا عن ابن فضل الله « ورأيت أنا السنجق (٩٢) وقد رفع على عرفات سنة ٨٣٧ هجرية وهو أبيض فيه وريدات حمر كثيرة (٩٣) » .

أما وريدات العصرين الأيوبى والمملوكى فنجدها تتألف غالباً من ست

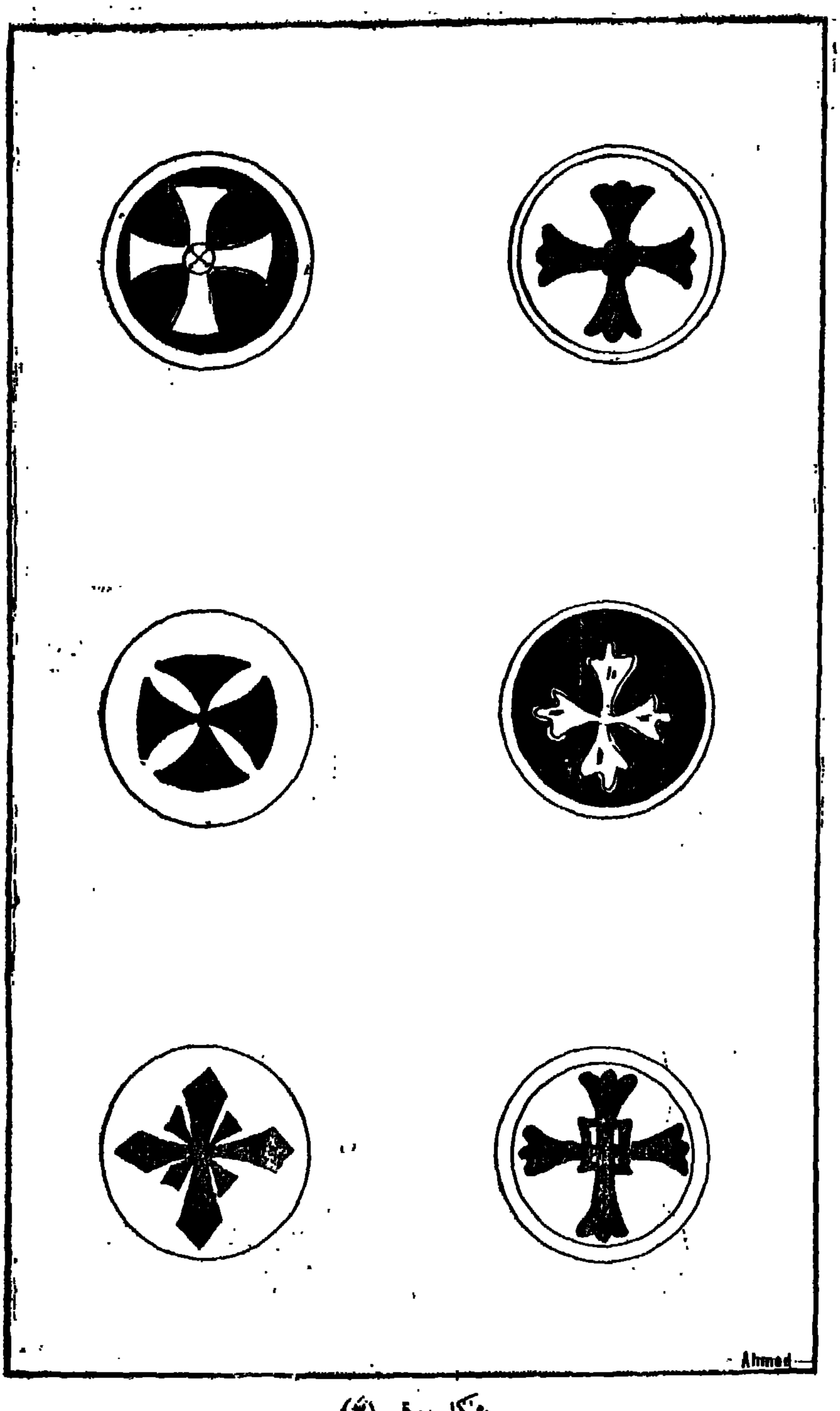

شكل رقم (٧)
رنك الصليب

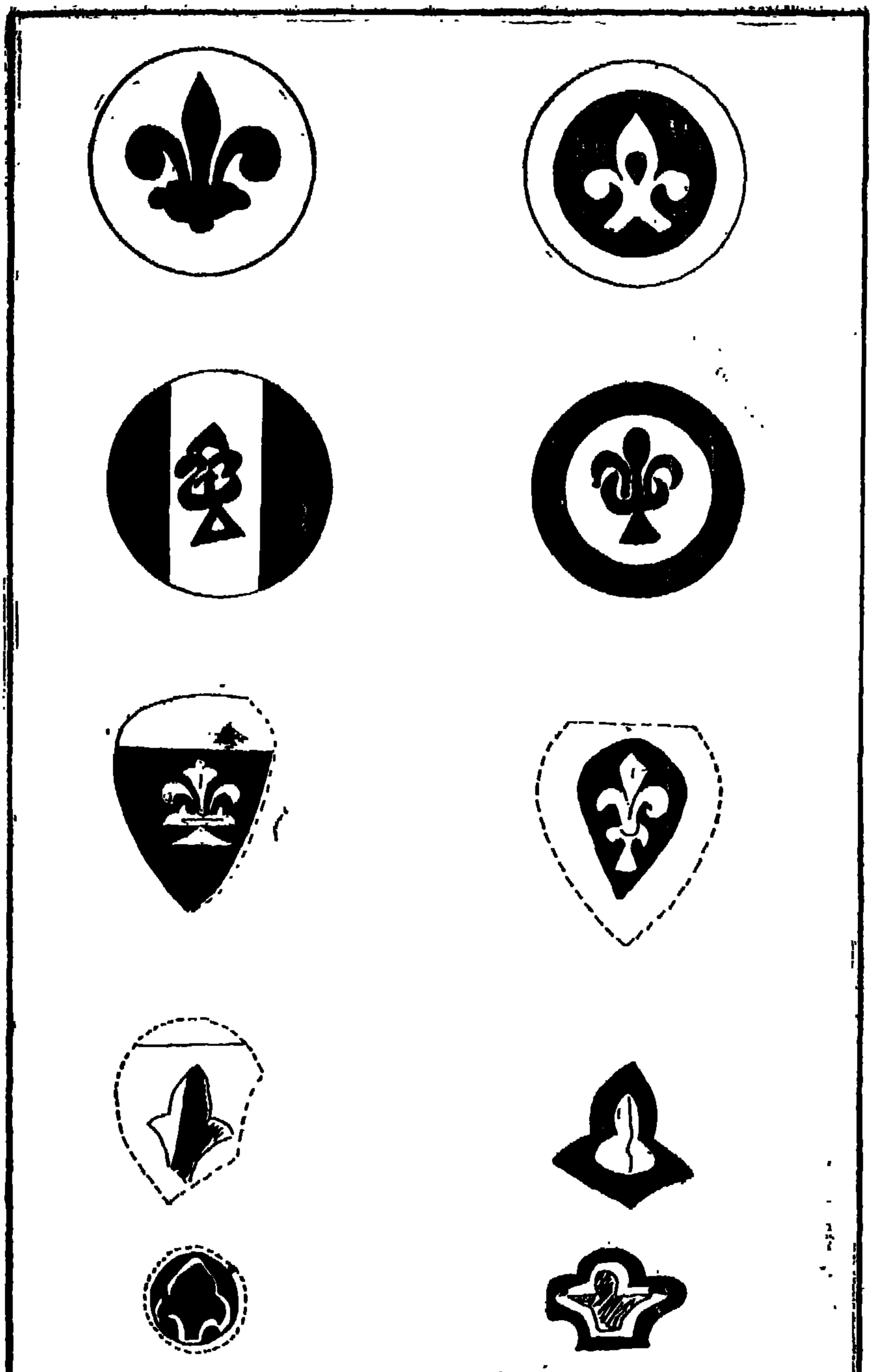

شكل رقم (٨)
رنك زهرة اللوتس

وريقات وفى بعض الأحيان تجدها ذات ثمان وريقات(٩٤) انظر شكل (٩). كذلك وجدت مجموعة ثالثة من الرنوك تمثل فى الغالب مجموعة من الحيوانات أو الطيور مثل السبع والنسر والبط المنسوب إلى السلطان قلاوون والسمك المنسوب إلى إبنه الناصر محمد (٩٥) .

والسبع(٩٦)ورد بكثرة على التحف المنسوبة إلى ذلك العصر(٩٧)وهو غالباً ما يمثل كأنه زاحف من اليمين إلى اليسار يرفع ذنبه فوق ظهره ورجله اليمنى إلى الأمام . ومن المعروف أن السلطان بيبرس اتخذ من هذا الشكل رنكا له إلا أنه لم يكن أول من فعل ذلك إذ سبقه إلى هذا الملك الأيوبى المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل أبى بكر حاكم أورفا ٦٠٨ – ٦١٧ / ١٢١١ – ١٢٢١ حيث ظهر هذا الرنك على باب حران فى أورفا كما اتخذه رنكا له فيما بعد الملك الأشرف برسباى ٨٧٢–٩٠١ / ١٤٦٧ – ١٤٩٥ حيث ظهر على أبنيته ونقوده (٩٨) .

كذلك يحدثنا ابن إياس بأن يشبك من مهدى عندما خرج لحرب شاه سوار . وضع فى رنكه صفة سبع (٩٩) ، إلا أنه لم يعثر على آثار باسم هذا الأمير يتضمن هذا الرنك .

بقى أن نتسائل هل كان السبع يعنى فى كل مرة نراه فيها ممثلا على التحف المملوكية والآثار العربية رنكا لأحد السلاطين أو الأمراء ؟ الحق أننا لانستطيع الاجابة على هذا السؤال بالاثبات إذ أننا كثيراً مانراه ممثلا فوق مهاد من الزخارف العربية المورقة وقد يقتفى أثر حيوان آخر يتقدمه الأمر الذى يدفعنا إلى الترجيح بأنه قصد به الزخرفة أولا وقبل كل شىء .

والنسر يعتبر من أكثر الرموز وروداعلى الآثار والتحف العربية المنسوبة إلى العصر المملوكى وقد رسموه برأس واحدة ملتفتة إلى اليمين أو إلى اليسار(١٠٠) أو برأسين متدابرين وكذلك اما بجناح واحد أو بجناحين مبسوطين وتظهر

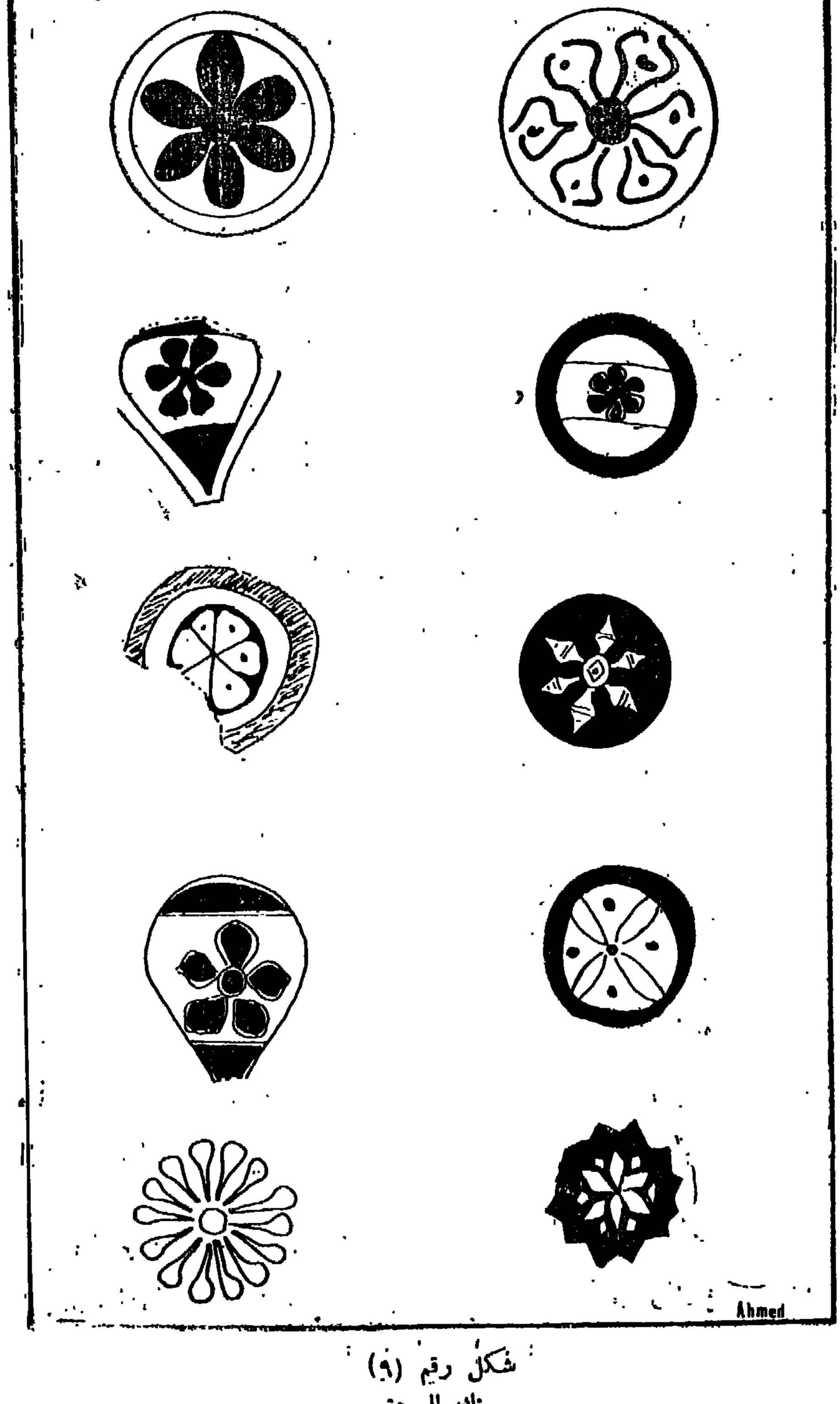

شكل رقم (٩)

ورنك الوردة

المخالب ممسكة بنهاية الجناحين انظر شكل (١٠) ولعل أقدم من اتخذ هذا الرمز رنكا له هو السلطان الأيوبى صلاح الدين حيث لا نزال نراه يعلو أسوار القلعة (١٠١).

وبالنسبة للبط الوارد على التحف والآثار العربية المملوكية الطراز فأغلبه ممثل فى هيئة زخرفية مجردة وفوق أرضيات من الأقواس المتداخلة أو الدوائر التى تبدو على هيئة المخرمات الأمر الذى يجعلنا لانستطيع قبوله كأحد الرنوك أو إلى اعتباره أنه يرمز إلى شىء بعينه .

والسمك الذى نراه ممثلا بكثرة على التحف المملوكية والمنسوب إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون فمن المعروف أن السمك عد من رموز الحياة فى العصور المصرية القديمة وأصبح شعاراً لكل من إيزيس(١٠٢) وأوزوريس(١٠٣) ، فلا عجب أن يكون قد اتخذ رنكا فى العصر المملوكى إلا أن فى هيئته الوارد بها على تحف ذلك العصر مايجعلنا نتشكك فى صحة اتخاذه بمثابة رنكا لأنه يغلب عليه الطابع الزخرفى كما أنه مثل فى أغلب الأحيان بلا مناطق محددة بعكس أغلب الرنوك الأخرى .

لكن ماذا تعنى هذه الرنوك ؟ ذهب بعض المشتغلون بالآثار(١٠٤) إلى القول بأن هذه الرنوك تعبر عما يتصف به الأمير من صفات وتترجم عن اسم ان كان للاسم معنى . واعتمد فى هذا الرأى على ما ذكره ابن اياس عند كلامه عن رنك بيبرس إذ ذكر أنه يدل على شجاعته (١٠٥) . فى حين ذهب ماير إلى نفى هذه النظرية معتمداً على فحص الأمثلة التى أتخذت أساساً لها وعلى بعض المراجع المعاصرة للمماليك والتى لم يذكرها لنا(١٠٦) .

والحق أننا لنرى أن ماير قد ذهب بعيداً حين نفى هذا الرأى إذ يقول القلقشندى « والترك راعوا فى أسمائهم ما يدل على الجلادة والقوة عما يألفونه ويجاورونه وغالباً ما يسمون باسم « بغا » ومعناه بلغتهم الفحل . إما مفرداً كما تقدم وهو قليل واما موصوفاً بحيوان من الحيوانات مقدمين الصفة على

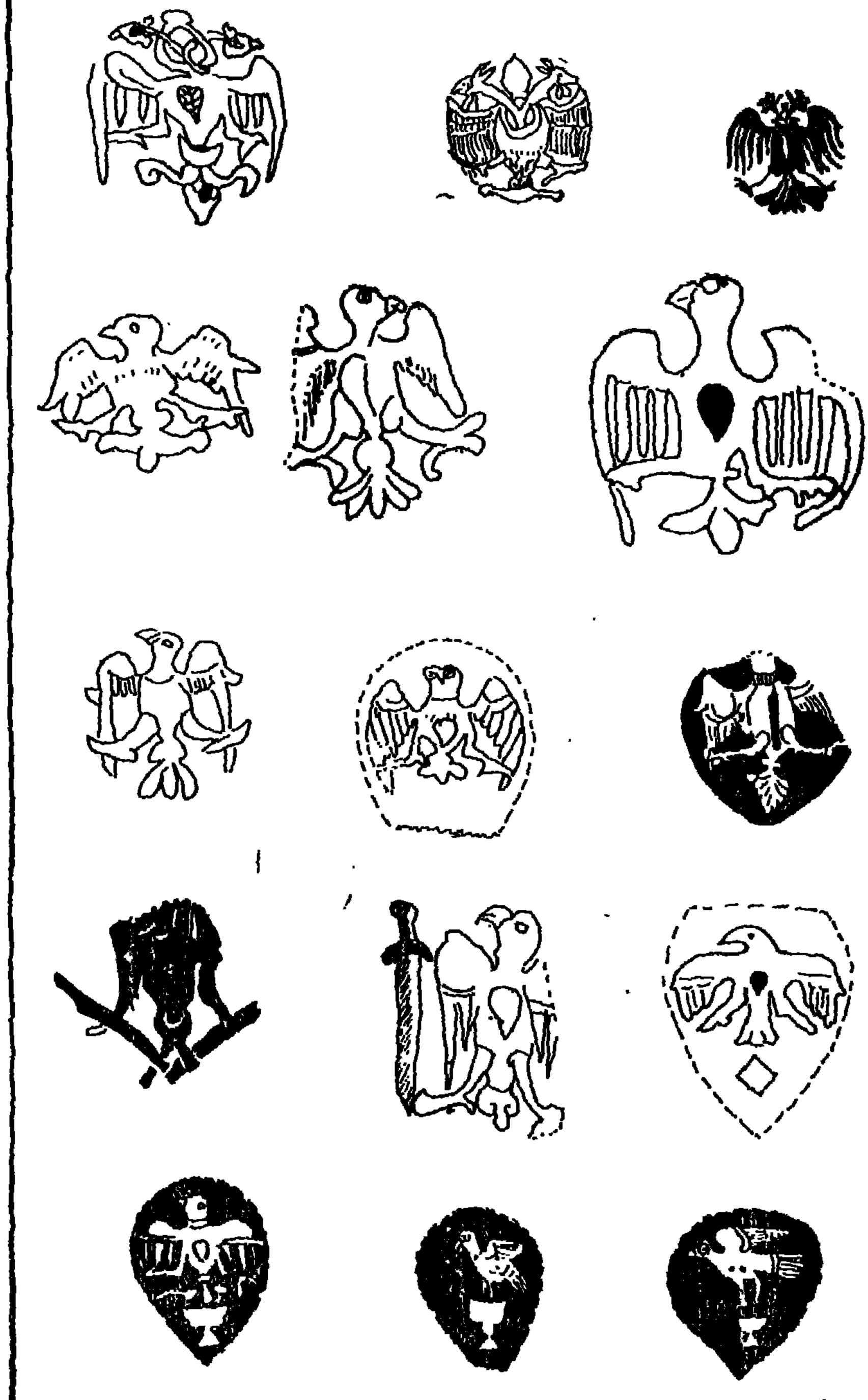

شكل رقم (١٠٠)
رنك النسر

الموصوف على قاعدة لغتهم فى ذلك كطيبغا بمعنى فحل مهر . أو بمعدن من المعادن كالطنبغا بمعنى فحل ذهب ... وربما أفردوا الاسم بالوصف كدمر بمعنى حديد وأرسلان بمعنى أسد وتنكز بمعنى بحر ، ونحو ذلك إلى غير ذلك من المفردات والمركبات التى لا يأخذها حصر(١٠٧) . كذلك جاء فى السلوك « أن أسماء معظم سلاطين المماليك وأسماء كل أمراء دولتهم تقريباً عبارة عن أسماء أشياء أو حيوانات فى اللغات التركية والفارسية والتترية مثل ذلك بيبرس ومعناه الأمير فهد(١٠٨) قلاوون ومعناه البطة وطوغان معناه الصقر دبكتمر معناه الأمير حديد .ومن أسمائهم أيضاً ما يدل على صفات من إحدى اللغات المتقدمة ومنها سلار ومعناه المهاجم وأزبك ومعناه النبيل (١٠٩) » كما أنه يوجد لدينا مثلان واضحان يعبران عن صدق هذه النظرية وهما للسبع رنك بيبرس والطائر الأبيض رنك جمال الدين آقوش حاكم الكرك(١١٠) .

وإلى جانب هذه الرنوك البسيطة التى تتضمن عـــلامة أو أكثر على الشطب أو على الرنك مباشرة إذ لم يكن بوسطة شطب(١١١) ، والتى استعملت للأمراء والسلاطين على حد سواء . وجد نوع آخر من الرنوك يعرف فى المصطلح العربى باسم الدروع أو الخراطيش انفرد به السلاطين دون الأمراء(١١٢) ، وورد بكثرة على التحف والآثار العربية وهو يتألف غالباً من درع مستدير أو كمثرى أو مفصص الشكل وينقسم غالباً إلى ثلاثة مناطق ولا توجد به علامات أو أية رموز كما فى النوع السابق إنما تملئه كتابات نسخية فى المنطقة العليا اسم السلطان وفى الوسطى التعظيم له وفى السفلى الدعاء له أى على النحو التالى :

(أسم السلطان)

عز لمولانا السلطان الملك

عـــز نصره

ويرجع أقدم هذه الخراطيش إلى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى(١١٣)، وكان أول ظهورها على الأوانى والمشكاوات والسلاطين وما شابه ذلك ولعل أقدم ما يعرف من هذا النوع على المبانى خرطرش باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون وجد على حائط واجهة قصر حوش بردق بجـــوار مدرسة السلطان حسن (١١٤) إلا أنه يلاحظ أن الخراطيش الواردة على بعض التحف الأخرى تتضمن « عبارة » عز لمولانا السلطان » تملأ مساحة الدرع وذلك بعكس الخراطيش الواردة على التحف والآثار العربية .

والنوع الثالث من الرنوك هو الرنوك المركبة وبالرغم من أن أغلب الباحثين فى هذا المجال قد أجمعوا على أن الرنوك المركبة بدأت بعلامتين أيام السلطان برقوق(١١٥) سنة ٧٨٥ هـ وتدرجت حتى أصبح الرنك يتضمن تسع علامات فى أيام قايتباى والغورى(١١٦) . إلا أنه صادفنا رنوك ثلاثة مركبة قبل عصر السلطان برقوق الأول على مبخرة النحاس محفوظة بالمتحف الأهلى بفلورنسا تحمل اسم الجناب العالى السيفى بهادر الحموى رأس نوبة الجمدار الملكى الناصرى تنسب إلى مصر حوالى سنة ٧٤٠ / ١٣٤١ بها رنك يمثل بقجة أسفل نسر ينظر إلى اليسار(١١٧) .

والثانى على زهرية من النحاس المكفت بالفضة والذهب عليها كتابة باسم الأمير طقزتمر الساقى الذى عاش إلى سنة ٧٤٦ / ١٣٤٥ ويتخلل الكتابة ثلاثة رنوك بكل منها شارة نسر ناشراً جناحيه يقف على كأس(١١٨) .

والثالث على مشكاة موهة بالميناء محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة وتحمل اسم المقر الشريف طغيتمر الذى قتل سنة ٧٤٨ / ١٣٤٧ وعليها رنك مركب من الدواه والكأس(١١٩) .

وعلى هذا يمكننا القول بأن الرنوك المركبة بدأت بعلامتين أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون أى قبل عصر السلطان برقوق بنحو خمسة وأربعون عاما تقريباً .

وعلى الرغم من التعقيد والاختلاف العظيم فى أشكال هذا النوع من الرنوك فإنه يمكن إرجاع أربعة أخماسها إلى واحدة من المجموعات الآتية :

١ - كأس كبيرة فى المنطقة الوسطى وأخرى صغيرة فى السفلى .

٢ كأس نقش على بدنها دواء ويحف بالكأس قرنى بارد وفى العليا بقجة وفى السفلى كأس صغيرة .

٣ - دواه فى الوسطى وبقجة فى كل من العليا والسفلى .

٤ - سيفان يخترقان الرنك من أعلى إلى أسفل أو يتوجان المنطقة الوسطى منه ، أو يزينان المنطقة العليا والسفلى أو يخترقان المنطقة السفلى أفقياً .

٥ - سيفان يحصران فيما بينهما إما حدود الفرس أو وريدة ذات خمس وريقات أو بقجة .

٦ - سيف وإلى يساره أو يمينه حدوة الفرس أو كأس أو زهرة لوتس .

٧ - بقجة فى كل من المنطقة العليا والسفلى .

٨ - نسر ناشر جناحيه ، أو إحداهما فوق كأس .

والرنوك المركبة اما شخصية تشير إلى الوظائف المختلفة التى مر بها المملوك

أثناء تدرجه فى مراتب الامارة إذا لم يكن من عادة الأمراء تناسى مراكزهم البسيطة يوم أن كانوا أجنادا بل كانوا يعتزون بها ويفخرون بتلك الأيام . مثال ذلك رنك قانباى الجركسى أحد مماليك الأشراف قايتباى الذى أعتقه وقلده عدة وظائف نستطيع أن نستخلصها من رنكه الوارد على مشكاة تحمل اسمه محفوظة بالمتحف الإسلامى بالقاهرة(١٢٠) حيث نشاهد فى المنطقة العليا السيف . وفى الوسطى الدواه وفى السفلى الكأس . والحق أن هذه الوظائف المختلفة التى يشير إليها رنكه تتفق وما ورد بالمراجع التاريخية بصدد حياة هذا الأمير(١٢١) .

أو ليست شخصية وفى هذه الحالة تعتبر بمثابة رنوك جماعات من المماليك كالمؤيدية نسبة إلى أتباع المؤيد شيخ والظاهرية أتباع برقوق والأشرفية أتباع قايتباى(١٢٢) . وقد تتفق بعض الفرق فى شعار واحد مع اختلاف اللون مثل الظاهرية والأشرفية(١٢٣) .

والحق أن الرنك صار حقا وإمتيازاً خاصاً بالأمراء وحدهم فى مجتمع الأيوبيين والمماليك فضلا عن السلطان إذ يبدو أن الأمير فى أواخر عهد الأيوبيين وأوائل عهد المماليك كان يمنح الرنك على يد السلطان عند تأميره يؤكد هذا ما ذكره أبو المحاسن من أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أمر مملوكه أبيك وجعل رنكه على هيئة خونجا(١٢٤) . وإذا كان بعض رجال الدين(١٢٥) قد حملوها فإن ذلك راجع إلى أنهم كانوا من رجال السيف علاوة على وظيفتهم المدنية(١٢٦) .

غير أنه فى عصر المماليك الجراكسة ترك الأمراء حرية اختيار رنوكهم يؤكد هذا ما ذكره القلقشندى : « ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه مابين هناب (١٢٧) أودواه أو بقجة أوفرنسيسة كل أمير بحسب مايختاره ويؤثره من ذلك(١٢٨) » . ويؤكد هذا أيضاً ماذكره

ابن اياس من اتخاذ يشبك من مهدى صفة سبع حين خرج لمحاربة شاه سوار (١٢٩) الأمر الذى ترتب عليه أن أصبحت الرنوك لاتشير فى الغالب إلى وظائف أصحابها . وقد جرت العادة أنه إذامنح أحدالأمراء رنكامعيناً ظل محتفظاً به طوال حياته (١٣٠) بل قد يضيف إليه رنك الوظيفة الأخرى التى يتقلدها أو ينتقل إليها مثل قانباى الجركسى .

وقد يكون الرنك ذى لون واحد أوذى ألوان متعددة يؤكد هذاماذكره المؤرخون فى العصور الوسطى إذ ذكر ابن اياس أن السلطان قايتباى أمر بتبييض باب النصر وباب زويلة وضرب عليها الرنوك الذهب(١٣١) ، وذكر ابن تغرى بردى أن رنك الأمير سلاركان أبيض وأسود (١٣٢) ، كما أشار إلى رنك أقوش الأفرم وكان على هيئة دائرة بيضاء يشقها مشطب أخضر عليه سيف أحمر (١٣٣) ــ كما أشار صاحب تحفة ذوى الألباب بأن الناصر جعل رنكه أسود انتماء منه إلى الخليفة(١٣٤) . كذلك ذكر القلقشندى أن شعار سلطان اليمن كان وردة حمراء فى أرض بيضاء(١٣٥) . ويؤكد ألوان الرنك أيضاً التحف والآثار العربية التى ترد عليها الرنوك والتى تبدو بجلاء على الزجاج المموه بالميناء والفسيفساء والأوانى الخزفية . أما الفخار فلا يعتمد عليه ولا يوثق به لتأثير ألوانه بالحرارة مما يجعلها تختلط ببعضها البعض(١٣٦) . وبذلك يصبح من العسير تحديد مناطق الألوان أو بعبارة أخرى يفسد التصميم الأصلى للرنك . على أنه يمكننا حصر أهم ألوان الرنك عليه فى الأصفر والبنى والكريم والأخضر فضلا عن الألوان الذاتية أى أنه يصبح للرنك لون مادة التحفة .

واستعمال الرنوك قديم فقد عرفت عنـــد المصريين القدماء وعند الحيثيين وعند الإسرائيليين والإغريق والرومان وغيرهم كما تشير بذلك الكتب الأدبية القديمة والدينية وكما نسمع عن أسد يهوذا ونسور القياصر(١٣٧) إلا أنه يبدو لنا أن معناها فى العصور القديمة يختلف عن

مدلولها فى العصور الوسطى لأنها فى البداية كانت مجرد رموز تتصل بالديانات والعقائد(١٣٨) .

ويبدو لنا أيضاً أن الشعارات أو الرنوك قد عرفت منذ بداية العصر الإسلامى متمثلة فى شارات الخلافة الثلاث الذى يعنينا منها السكة والطراز(١٣٩) كذلك يفهم مما ذكره ابن خلكان عند مبايعة المأمون لعلى بن موسى الرضا بولاية العهد أن شعار بنى العباسى هو السواد(١٤٠) كذلك من المعروف أن شعار الفواطم كان لباس الخضرة . إلا أن الرنوك قد عرفت بمعناها الوظائفى أو الرمزى فى العهد الأتابكى والأيوبى وشاعت فى عصر المماليك وصار لزاما على الصناع إثباتها على ما يصنعونه لصاحب الرنك من أدوات إذ صار الرنك تقليدا رسميا يحافظ عليه ويعتز به(١٤١) . ومن الراجح أنها استمرت حتى أيام العصر التركى يؤيد هذا ما ذكره ابن إياس فى حوادث سنة ٩٢٣/١٥١٧ أن رنك السلطان سليم بن عثمان صار مضروبا على غالب البيوت(١٤٢) . كذلك ما ذكره الجبرتى فى معرض حوادث سنة ١١٤٢ هجرية إذ قال : « فوقع الاتفاق على يوسف أغا السلمانى وعبد أغا كاشف الشرقية هذا وكان ضرب هلبا سويد قبل تاريخه واشتهر بالشجاعة فخلع عليهما فى يوم واحد وعملوا لهما رنك وسعاه(١٤٣) » .

والواقع أنه لم تصلنا تحف أو آثار عربية من العصر التركى يزينها رنوك يؤيد ما ذكره الجبرتى ولعل مرجع هذا هو تدهور الصناعات فى مصر مع بداية الغزو التركى نتيجة لنقل السلطان سليم الأول لأغلب الصناع إلى القسطنطينية .

وعلى حين بدت الرنوك فى الشرق شعارا للوظيفة(١٤٤) فى العصور الوسطى نجدها فى الغرب عند الأوربيون شعارا شخصياً للفرد وأسرته إذ عرف الغربيون الرنوك حيث رسمت فى بادىء الأمر على الدروع وذلك

لتميز الفرسان بعضهم عن بعض أثناء القتال . ويبدو أنها لم تظهر بجلاء إلا فى أيام الحرب الصليبية الثالثة عام ١١٨٩ م . وفى القرن (السابع الهجرى) الثالث عشر الميلادى نجدها قد خرجت عن هذا النطاق وأصبحت تطرز على السترة التى تلبس فوق الدروع(١٤٥) .

وتجلت رسوم هذه الدروع فى تصاوير ورسوم الكائنات الحية مثل رجل الجواد أو رأس أحد المغاربة أو ساق أو عدة سيقان أو العيون . كذلك وجدت رسوم الأسود حيث اختصت فقط بالدروع الملكية دون غيرها . وغالباً ما يمثل الأسد وقد شبا على صفحة مفضضة كما وجدت رسوم النمور والفهود وغيرها من الوحوش الخرافية مثل الجريفن والانيقورن . هذا عدا رسوم الطيور والحشرات والأسماك والزواحف .

وإلى جانب رسوم الكائنات الحية وجدت رسوم قد تكون فلكية مثل الشمس والقمر والنجوم أو الأسلحة الحربية والمراكب والقلاع كما مثلت رسوم الأوعية المنزلية والأدوات الخاصة بالكنيسة مثل المفتاح(١٤٦) وعصا رئيس الأساقفة هذا عدا رسوم الفاكهة والأزهار(١٤٧).

ولم تختلف الرنوك الغربية من حيث الرسوم والتصاوير التى تزينها فحسب بل اختلفت من حيث الألوان التى رسمت بها هذه العناصر أو التى طليت بها صفحة الدروع . ولعلها فى هذا تتفق مع الرنوك الشرقية . حيث نجد قد استعمل فيها ألوان الذهب والفضة واللون الأحمر والأزرق والأسود والقرمزى . وفى بعض الأحيان نجد العناصر قد رسمت بلونها الطبيعى(١٤٨) .

والحق أنه لا زال للرنوك عند الغربيين شأن عظيم ولها سجلات خاصة بها مثبت فيها شكل الرنك وتاريخه واسم الأسرة التى يخصها ويمكن للإنسان أن يحدد تاريخ الأسرة من رنكها فيتتبع رنك كل عائلة ويستخلص من ذلك تاريخ هذه العائلة .

وفى محاولة معرفة أى من الرنوك كانت بمثابة الأصل الذى نقلت عنه الأخرى هى الرنوك الغربية أم الشرقية نجد أن علماء الآثار قد اختلفوا بصدد الإجابة على هـذا السؤال فمنهم من ذهب إلى القول بأن الرنوك لم تظهر فى الشرق إلا بعد الحروب الصليبية وأنها نتيجة للتأثر بالغرب ، فالأسد رنك السلطان بيبرس والمنقوش على نقوده يشبه إلى حد كبير الأسد الموجود على درع ريتشارد قلب الأسد بطل الحملة الصليبية الثالثة عام ١١٨٩ م . وهناك دليل آخر هو أن الكتاب درجوا على تسمية زهرة اللوتس أو الزنبق بالفرنسيسة(١٤٩) نسبة إلى فرنسا ذلك أنهم أعجبوا بها فى أول الأمر على العباءة القرمزية التى كان يرتديها الملك لويس التاسع ملك فرنسا أثناء فترة أسره بالمنصورة عام ١١٥٢(١٥٠) .

فى حين ذهب فريق آخر إلى محاولة إرجاع أصل الرنوك عند الغربيين إلى الشرق وقالوا بأنهم اقتبسوا فكرتها أيام اتصالهم بالسلاجقة والأتابكة والأيوبيين والمماليك زمن الحرب الصليبية بدليل وجود رنوك سلجوقية وأيوبية ومملوكية مشابهة لرنوكهم على بعض الآثار فى مصر وسوريا وفلسطين(١٥١) . على أن هـذا الرأى يبدو معقولا مقبولا لاسيما إذا عرفنا أن رنك زهرة الزنبق أو اللوتس كما تسمى فى بعض الكتب عرفت فى الشرق منذ أقدم العصور كما إتخذها نور الدين محمود بن زنكى رنكا له على محراب مدرسته التى شيدها بدمشق بين عامى ٥٤٩ — ٥٦٩ / ١١٥٤ — ١١٧٣ أى قبل أن يشاهد الشرق عباءة لويس التاسع ملك فرنسا بنحو الى تسعون عاما. أما عن تسميتها بالفرنسيسة فليس بدليل قاطع على أنها وجدت لأول وهلة فى فرنسا ثم أخذها عنها الشرق. وإنما قد يكون ذلك راجع إلى كثرة ورودها على الرنوك الفرنسية إذ تحدثنا المراجع أن لويس التاسع قد منح هذا الرنك لأسرة شاتوبريان تكريما لخدمات جيوفرى شاتوبريان أثناء معركة المنصورة(١٥٢). أما عن ظهور رنك الأسد على درع ريتشارد بطل الحملة الصليبية الثالثة قبل

ظهوره على آثار السلطان الظاهر بيبرس بنحو خمسين عاما فليس بحجة أيضاً إذ من المعروف أن الأيوبيين قد اتخذوا من هذا الرنك شعاراً لهم قبل بيبرس ومن أمثلة ذلك حاكم أورفا حيث ظهر رنكه على باب حران(١٥٣) . وهناك أيضاً رنك النسر ذى الرأسين الذى ظهر للوهلة الأولى على آثار الحيثيين فى الأزمنة القديمة ثم أصبح فى أوائل القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى رنكا للسلاطين السلاجقة ثم اتخذه أباطرة الدولة الرومانية المقدسة شعارا لهم فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى (١٥٤) . ويكفى أن نكرر هنا ما ذكره أحد الكتاب الأجانب من أن الفرسان كانوا يتخذون شعارا لهم مما تقع عليه أعينهم أثناء حروبهم الصليبية فى الشرق الغامض(١٥٥).

على أن الفرق بين الرنوك الغربية والرنوك الشرقية أن الرنوك الغربية تساعد على تأريخ التحف لأنها كانت وراثية . أما الرنوك الشرقية فلم تكن كذلك(١٥٦) ، وهى تنم فى الغالب عن الوظيفة التى يشغلها الشخص . وقد يتقلب الأمير فى عدة وظائف فى أوقات مختلفة فعندئذ يتضمن رنكه الرموز المختلفة التى تشير إلى وظائفه كما فى حالة قانباى الجركسى . وقد يشترك فى الرنك الواحد أشخاص عديدون لا يمت بعضهم إلى بعض بصلة أو قرابة . أما الغربيون فلكل أسرة شعار خاص بها يميزها عن غيرها ولا تشترك أسرتان فى رنك واحد ومن هنا كانت الرنوك الغربية أكبر معين على تاريخ التحف المرسومة عليها بعكس الرنوك الشرقية فليس من اليسير نسبة الرنوك المرسومة عليها إلى شخص بعينه(١٥٧) ما لم تكن مشتملة على كتابة صريحة تنص على ذلك وإن كان فى الإمكان أن ننسبها بصفة عامة إلى العصر المملوكى الذى شاع فيه استخدام الرنوك(١٥٨) . كما كانت الرنوك فى الغرب وسيلة للتعرف على الشخصيات وقت النزال وطريقة يهتدى بها الأتباع إلى السادة وقت القتال لاختفاء معالم الوجه تحت القناع وللاهتمام الشخصى الكبير الذى توجه إليها فى الغرب . دون الشرق لأن الابن كان يفخر بأن يقاتل بالأسلحة

التى قاتل بها والده ويعتز بأنه يحارب تحت الشعار الذى حارب تحته ومن أجله والده من قبل(١٥٩) . ومن ثم يتضح لنا الاهتمام الكبير والشخصى بالمحافظة عليها وعلى ألا يستعملها أشخاص غير أصحابها مما أدى إلى تسجيلها وسن القوانين لحمايتها .

كذلك أختلف المشتغلون بالآثار بصدد عما إذا كانت الرنوك فى الشرق وراثية مثلها فى الغرب . فمنهم قال أنها غير وراثية(١٦٠) — ومنهم من قال أنها وراثية معتمدا فى ذلك على حمل بركة خان لشعار والده بيبرس وتوارث أبناء وأحفاد قلاوون لشعار ابنه محمد(١٦١) ،

بيد أننا لانستطيع الجزم بأن الرنوك كانت متوارثة وذلك لقلة المعلومات عن أبناء المماليك خاصة وأنهم لم يسمحوا لهم بالانخراط فى سلكهم ولم يقبلوا ضمهم إلى زمرتهم للاختلاف بين النشأتين(١٦٢) — فالأمراء أصلهم أرقاء وأبناؤهم ليسوا كذلك . كما أن المماليك لم يكن عندهم نظام وراثة العرش وأن كان قد وجد فى تولية بركة خان بعد والده بيبرس وفى أسرة قلاوون فأنها حالة شاذة ولم تكن القاعدة المتبعة فى دولة المماليك(١٦٣) .

لذلك يمكن القول بأن الرنوك لم تكن متوارثة اللهم إلا فى الأبناء الذين ينشأون نشأة حربية ويقتفون آثار آبائهم ومن أمثلة ذلك أحمد بن بكتمر ومحمد بن كتبغا وحسين بن قوصون الذين ورثوا رنك الكأس عن آبائهم رغم أنهم لم يعملوا كسقاة(١٦٤)، وذلك عند تأميرهم . أما باقى الأبناء وهم الغالبيه العظمى فكانوا يوجهون وجهة غير حربية ويعدون للوظائف الدينية والدنيوية وبذلك يحرمون حمل رنوك آبائهم وتوارثها . ولكن هل كان للنساء حق حمل الرنوك وتقلدها شأنهن فى هذا شأن الرجال ؟

من المعروف أن النساء لم يكن لهن الحق فى الوظائف الدينية فى المجتمع المملوكى بصفة عامة والعسكرية بصفة خاصة(١٦٥) ومن ثم لم يكن لهن الحق

فى تقلد الرنوك وحملها . إلا أنه بالرغم من هذا فقد وجدت بعض التحف والآثار العربية يزينها رنوك تصاحبها أسماء سيدات أربعة بسيطة وثلاثة مركبة رأى فيها كل من ماير ورايس(١٦٦) أنها لم تكن خاصة بهن بل رجحا أنها ربما كانت مختصة بآبائهن وأزواجهن الذين كانوا يشغلون تلك المناصب السلطانية التى تشير إليها تلك الرنوك المصاحبة لها . وفى هذا الرأى ما يشير إلى أن الرنوك كانت وراثية . نضيف إلى هذا أنه وجد من الرنوك ما كان يعجب الناس إذا حسنت سيرة صاحبه فيهم فينقشونه على ثيابهم وأوانيهم وربما جعلوه بالوشم على معاصمهم(١٦٧) ويشير إلى ذلك ابن تغرى بردى فيقول عند حديثه عن رنك أقوش الافرم : « وكان فى غاية الظرف حتى أن النساء الخواطىء كن ينقشه على معاصمهم(١٦٨)» الأمر الذى يجعلنا نرجح بأن هذه الرنوك المصاحبة لأسماء سيدات الواردة على التحف والاثار العربية قد تكون نتيجة لأعجابهن بصاحب هذا الرنك أو بسيرته فعمدن إلى نقش رنكه على متعلقاتهن إعجاباً بسيرته أو تخليداً لذكراه .

بقى أن نشير أى هذه الرنوك أقدم من الآخر ؟

الواقع أننا إذا كنا قد استطعنا أن ننسب أغلب هذه الرنوك إلى العصرين الأيوبى والمملوكى بفترتيه فإننا ما زلنا بحاجة إلى تضيق مجال هذا التاريخ الواسع إذ فى تحديده تحديد لصناعة بعض تحف العصر المملوكى كما يشير هرتز الذى كتب عام ١٩٠٦ بأنه لو أمكن ترتيب الرنوك الواردة على الفخار المطلى ترتيباً تاريخياً لأمكن إتخاذ خطوة جادة فى سبيل تاريخ الفخار الإسلامى عامة(١٦٩).

والآن وقد تحققت أمينة هرتز بأكثر من وسيلة : الأولى عن طريق الدراسة الجادة التى قام بها ماير وقدمها لنا فى كتابه عن الرنوك عام ١٩٣٣ . والثانية عن طريق الحفائر العلمية المنظمة التى قامت بها جامعة الاسكندرية

فى تل كوم الدكة حيث عـــثر به على النكثير من كسرات الفخار ذى الرنوك(١٧٠) ومن ثم فيمكننا أن نرتب هذه الرنوك حسب تاريخ ظهورها على الوجه التالى :

١ — زهرة الزنبق أو اللوتس التى اتخذها نور الدين محمود بن زنكى شعاراً له فيما بين ٥٤٩ — ٥٦٩ / ١١٥٤ — ١١٧٣(١٧١) .

٢ — الأسد اتخذه شهاب الدين غازى بن الملك العادل أبى بكر حاكم أورفا رنكا له فيما بين ٦٠٨ — ٦١٧/١٢١١ — ١٢٢٠(١٧٢) .

٣ — القوس اتخذه علاء الدين أيدكين البندقدارى المتوفى سنة ٦٥٩ / ١٢٦١(١٧٣) .

٤ — الوردة ذات الست فصوص اتخذها كافور الرومى المتوفى سنة ٦٨٤/١٢٨٥(١٧٤) .

٥ — النسر اتخذه بدر الدين بيسرى المتوفى سنة ٦٩٧ / ١٢٩٧(١٧٥) أحد مماليك الصالح أيوب .

٦ — البريدى أو الشطف اتخذه علاء الدين البريدى وبكتمر الحسامى المتوفى سنة ٧٢٤/١٣٢٤(١٧٦) .

٧ — البغـل أو البريدى اتخـــذه على بن بكتمر المتوفى سنة ٧٢٩ / ١٣٢٩(١٧٧) .

٨ — الكأس اتخذه طرجى المتوفى سنة ٧٣١ / ١٣٣١(١٧٨) أحد سقاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

٩ — السيف اتخذه قجليس الناصرى المتوفى سنة ٧٣١/١٣٣٠(١٧٩).

١٠ ــ الهدف اتخـــذه المـاس المتوفى سنة ٧٣٤ / ١٢٣٣(١٨٠) ، أحد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

١١ ــ الحـــدوة اتخذها على بن هلال الدولة المتوفى سنة ٧٣٩ / ١٣٣٨(١٨١) .

١٢ ــ البقجة اتخذها اقبغا من عبد الواحد الناصرى الذى قتل سنة ٧٤٤ / ١٣٤٣(١٨٢) .

١٣ ــ البولو اتخذه آل ملك الجوكندار الناصرى المتوفى سنة ٧٤٤ / ١٢٤٦(١٨٣) .

١٤ ــ المقلمة اتخـذها قطلوبغا الدوادار المتـــوفى سنة ٧٧٨ / ١٣٧٦(١٨٤) .

المراجـــع

(١) المقريزى ، كتاب السلوك فى معرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٣٦ — ١٩٧٠، جـ ١ ص ٦٧٢ ؛ على إبراهيم ، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٩٦ ؛ حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ — ١٩٧٠ ، جـ ١ ، ص ١٧٠ .

(٢) Y.. Artin Contribution à 1' étude du blason cn Orient, Londones 1902, pp. 11 - 12.

(٣) إبراهيم طرخان ،مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٢٨ .

(٤) كلمة فارسية معربة تعنى نوع من السجاد السميك انظر :

Dozy. Supplèment aux dictionnaires arabes, Leiden 1881, I, p. 110,

(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، القاهرة ١٩١٣ — ١٩١٧ ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .

(٦) محمد مصطفى ، الرنوك المملوكية ، مجلة الرسالة (مارس ١٩٤٠) ، ص ٢٦٩ .

(٧) جمال محرز ، الرنوك المملوكية ، مجلة المقتطف (مايو ١٩٤١) ، ص ٤٦٤ .

(٨) وردت هذه الوظيفة بكثرة على الآثار العربية وهى تتألف من كلمتين دواه العربية وهى ما يكتب منه ودار الفارسية بمعنى ممسك ... والمعنى الكلى ممسك الدواه أو الموكل بالدواه ويقصد بذلك الموكل بدواة السلطان أو الأمير . وقد عرفت هذه الوظيفة فى عصر العباسيين وأطلق على صاحبها فى عصر الغزنويين والسلاجقة اسم الدواتدار . وظل موجود أيضاً فى دولة خوارزمشاه وانتقلت عن طريق السلاجقة والأتابكة والأيوبيين إلى دولة المماليك حيث عرف صاحبها باسم دوادار ، وكانت من الوظائف التى يشغلها عسكريون ، وكان الدوادار يختار من بين الخاصكية ثم أخذت رتبة الدوادار تزداد تدريجياً حتى صار من أمراء المئين ثم من أكابر أمراء المئين . كذلك لم يكن للسلطان دوادار واحد فقط بل ربما بلغ عدد الدوادارية عشرة من الأمراء والجند . انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، جـ٢ ، ص ٥١٩ — ٥٢١ .

(٩) أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، القاهرة ١٣١٥ هـ ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ مع ملاحظة أن المقصود بالدواه المقلمة .

(١٠) الطشتدار . اسم وظيفة يتألف من لفظة طشت المحرفة عن طست العربية ومن لفظة دار الفارسية بمعنى ممسك . والمعنى ممسك الطست أو الموكل بالطست . وكان الطشتدار هو الذى يتولى صب الماء على يد مخدومه . انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ١٠ — ١١ ؛ جـ ٥ ، ص ٤٦٩ . ولقد عربت هـذه الوظيفة فى الدولة العباسية وفى الدول التى تفرعت منها الدولة الغزنوية حيث انتقلت منها إلى دول السـلاجقة . كما عرفت فى العصر الأيوبى وانتقلت منه إلى دولة المماليك حيث كان الطشتدار يعتبر من أرباب الخدم والوظائف الصغرى . غير أنه من المعروف أن الطشتدار قد يرقى ويشغل مناصب أعلى وقد يؤمر أيضاً وربما ظل محتفظاً بلقب الطشتدار ، انظر حسن الباشا ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٤١ — ٧٤٣ .

(١١) أشار الدكتور حسن الباشا إلى أن أبو الفداء ذكر فى تاريخه أن الطشتدار كان إذا أمر اتخذ رنـكا على هيئة أبريق انظر الفنون الاسلامية والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٧٤٢ وذلك نقلا عن :

Mayer, Saracenic Heraldry, Oxford, 1933, pp. 4 – 5,

فى حين أن أبو الفداء ذكر أن رنك الطشتدار المسنية . انظر المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ . والمسنية هى الطشت المعدنى أو الصينية حسبما جاء فى دوزى انظر :

Dozy, Supp. Dict. Ar., II, p 593.

ومن المعروف أن الأبريق ظهر كرنك فى كتابة أثرية خاصة بالمؤرخ العينى وان كان لم يعرف أنه شغل فعلا وظيفة طشتدار ، انظر حسن الباشا ، المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٧٤٢ .

(١٢) وهى من الوظائف التى ظهرت بكثرة على الآثار العربية وهى اسم وظيفة اشتهرت فى الدول الإسلامية ذات الطابع التركى وتتألف من لفظين هما سـلاح العربى ودار الفارسى ومعناه ممسك السلاح . وهو يطلق على كل من كان يحمل سـلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه وما هو من توابع ذلك ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٦٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ص ٦٥ . وكان السلاحدارية يختارون من المماليك السلطانية ويقومون بحراسة السلطان . حسن الباشا ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٩٧ .

(١٣) ذكر أبو الفداء فى المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ أن شعار السلحدار القوس غير أنه من المرجح أنه كان يعنى بذلك السلاح بصفة عامة لأن القوس كان رنـكا لموظف آخر كما سنرى فيما بعد إذ أن دراسة الرنوك على الآثار والتحف ومقارنتها بما ورد بشأنها فى المؤلفات التاريخية والأدبية تشير إلى أن رنك السلحدار كان على هيئة سيف ، انظر حسن الباشا ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٩٧ .

(١٤) البندقدار اسم وظيفة يتألف من لفظين بندق ودار . وبندق لفظ فارسى معرب بمعنى البندق الذى يرمى به وهو منقول عن البـندق الذى يؤكل وهو الجلوز أما دار فـكلمة فارسية بمعنى ممسك والمعنى الاجمالى للبندقدار إذا هو ممسك البندق ويطلق على الموظف المـكلف

بحمل غرارة البندق خلف السلطان أو الأمير . انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ؛ ج ٥ ، ص ٤٥٩ . وربما عرفت هـذه الوظيفة فى الدولة التركمانية قبل أن تعرف عنـد الأيوبيين والمماليك كما يتضح من تركيب اسمها ، انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، جـ١ ، ص ٣١٩ .

(١٥) وردت هـذه الوظيفة مصحوبة برنك القوس على رتبة مشكاة من مصر ترجم إلى سنة ٦٤٥ هـ محفوظة بمتحف المتروبوليتان وكان الرنك على هيئة قوسين ذهبيين متقاطعين انظر :

Y. Artin, Cuatre Lampes, BIE, 1907, pl. I.

(١٦) وهو اسم مركب من لفظة أمـير العربيـة ولفظة أخور الفارسية ومعناها العلف . وكان هذا الاسم يطلق على القائم على أمر الدواب من الخيل وبغال وآبل وغيرها فى الاصطبلات السلطانية فى الدول التركية مثل دولة خوارزمشاه والسـلاجقة والمماليك ، انظر القلقشـندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٦١ ، ويتضح من التركيب اللغوى لاسم هـذه الوظيفة أنه انتقل الى الأيوبيين عن طريق الأتابكة والسلاجقة ومنهم انتقل الى دولة المماليك حيث صار ترتيبها الوظيفة السادسة بين الوظائف العسكرية الكبرى بقصر السلطان المملوكى وصارت تسند عادة إلى أمير مائة مقـدم ألف . انظر القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٩ — ٢٣ .

(١٧) ذكر أبو الفداء فى كتابه المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ أن شعار هذه الأمير النعل ولعل المقصود به الحدوة ومن المعروف أن رنك هذا الأمير كان بهذه الهيئة فى عهد خوارزمشاه محمد بن تكش ومن المحتمل أنه ظل بهذه الهيئة فى عهد السلاجقة والأتابكة والأيوبيين والمماليك ، انظر ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، جـ ١ ، ص ١٧٧ .

(١٨) هذا الاسم مؤلف من لفظتين : أحدهما من اللغة التركية جاما أو جامة ومعناها الثوب والثانية دار الفارسية بمعنى ممسك ، فيكون المعنى الاجمالى هو ممسك الثوب أو الوصيف الذى يلازم السلطان أو الأمير لالباسه ثيابه . انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٥٩ . وقد عرفت هـذه الوظيفة فى دولة الغزنويين ثم انتقلت إلى الدول التالية كالسلاجقة والأتابكة والأيوبيين والمماليك ، انظر حسن الباشا ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٥٩ .

(١٩) أبو الفداء ، المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ . فى حين ذكر البعض أن البقجة كانت شعار الاستادار وفى هذا ما ينافى كلام أبو الفداء وما ورد على التحف والآثار العربية . انظر حسن الباشا ، المصدر السابق جـ ١ ، ص ١٧١ — ١٧٢ ؛ جـ ٣ ، ص ١٣٥٩ .

(٢٠) هو أحد أربعة من جنود الحلقة يسيرون أمام السلطان فى موكبه للنداء لتنبيه المارة انظر المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٨٧٠

(٢١) أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٤٩ . والحق أنه لم تصادفنا هذه الوظيفة ولا هذه العلامة على أى من التحف والآثار العربية .

(٢٢) وهو لقب يطلق على الذى يتولى مد السماط وتقطيع اللحم وسقى المشروب بعد رفع السماط ونحو ذلك وكأنه وضع فى الأول لسقى المشروب فقط ثم استحدث له هذه الأمور الأخرى تبعاً . ويجوز أن يكون لقب بذلك لأن سقى المشروب آخر عمله الذى يختم به وظيفته . انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ . وقد عرفت هذه الوظيفة منذ عهد السلاجقة والأتابكة حيث استمرت الى دولة المماليك وكان السقاة يختارون من بين الخاصكية ، انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ ، ٥٧٨ . هذا وقد وردت هذه الوظيفة على كسرة من الفخار المطلى باسم « السيفى طشتمر الساقى الملكى » محفوظة بتحف فيكتوريا والبرت بلندن . انظر حسن الباشا ، المصدر السابق ج ٢ ، ص ٥٨٢ .

(٢٣) ثبت ذلك بدراسة الكتابات الأثرية الخاصة بسقاة وما صحبها على التحف والآثار من الرنوك وما ورد بشأن سير أصحابها فى الكتب والمؤلفات انظر :

-Mayer, Saracenic, pp. 5, 10.

ومن الملاحظ أن رنك الكأس من أكثر الشعارات ظهوراً على الآثار والتحف العربية سواء أكان مشتملا على مجرد كأس فقط أو مركباً من كأس ورموز أخرى وربما يرجع ذلك إلى أن الصناع كانوا يهتمون باثبات رنك الكأس على ما يصنع لأصحابه من أدوات وما يبنى لهم من عمائر انظر .. أبو الفتوح العش ، الفخار غير المطلى ، مجلة الحوليات السورية المجلد العاشر ، ص ١٨٠ . وربما يرجع أيضاً إلى كثرة عدد السقاة من الخاصكية كثرة تفوق غيرهم من ذوى الوظائف الأخرى انظر . زكى حسن ، فنون الإسلام ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٣٢٦ ؛ Mayer, Saracenic, p. 10.

(٢٤) وهو يتألف من لفظين فارسيين : الأول جوكان بمعنى العصى المنحنية أو المحجن الذى تضرب به الكرة أو عصا البولو ويعبر عنه أيضاً بالصولجان . والثانى دار : من المصدر داشتن بمعنى ممسك وبذلك يكون المعنى الكلى ممسك الجوكان . انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٨ . وكان يطلق اسم الجوكندار على موظف مهمته حمل الجوكان للسلطان أثناء لعبته الكرة والصولجة أو البولو فى عصر المماليك وليس من شك فى أن هذه الوظيفة قد عرفت قبل عصر المماليك . انظر حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .. عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٤٣ .

(٢٥) Mayer, Saracenic, p. 5,

(٢٦) وهو الذى يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يدس عليه فيه سم ونحوه وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما چاشنى أو چاشنى

ومعناه الذوق والثانى كبير ومعناه المتعاطى . لذلك فان المعنى الاجمالى يكون هو الذى يذوق وربما حرفه العامة إلى شيشنى . انظر القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٤٦٠ وقد عرفت هذه الوظيفة فى أغلب الظن عند الغزنوية والسلاجقة والأتابكة والأيوبيين . غير أنها حظيت فى عصر المماليك بدرجة عالية من الترتيب والتنظيم إذ كانت الوظيفة الحادية عشرة ضمن الوظائف الخمس والعشرين الرئيسية بالحضرة السلطانية التى كان يشغلها عسكريون انظر ، القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٤ .

(٢٧) ذكر ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٧ ، ص ٤ أن الملك الصالح نجم الدين أيوب أعطى أيبك جاشنكيره رنكا على هيئة خونجا كذلك أشار فى كتابه المنهل الصافى ، جـ ١ ، ص ٣ إلى ذلك بطريقة أوضح حين قال « ولذلك رنكه صورة خونجا »

(٢٨) لفظة مركبة من علم العربى بمعنى راية ومن دار الفارسية بمعنى ممسك . فيكون المعنى الاجمالى ممسك العلم وكانت تطلق على من يحمل العلم مع السلطان فى المواكب . انظر القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٤٦٣ ؛ ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ، ص ٣٤٦ . وقد عرفت هذه الوظيفة فى الدول التركية التى تفرعت من الخلافة العباسية كما عرفت فى دولة المماليك ، حيث وضحت اختصاصاتها . انظر . حسن الباشا ، المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٧٩٠ .

(٢٩) من المرجح أن رنك العلمدار كان على هيئة علمين ولو أن هذا الرنك لم يرد على الآثار والتحف الاسلامية مصحوباً بكتابات أثرية تؤكد أنه شعار العلمدار انظر :

Mayer, Saracenic, p 5.

(٣٠) إسم وظيفة تتألف من طبل العربية ودار الفارسية بمعنى ممسك والمعنى الاجمالى ممسك الطبل . هذا ولم تصادفنا كتابة تشير إلى هذه الوظيفة على التحف والآثار العربية .

(٣١) Mayer, Saracenic, p. 5,

(٣٢) وهو اسم يتألف من لفظين : بشمق أو بصمق بالتركية بمعنى نعل ودار بالفارسية بمعنى ممسك أى أن المعنى الاجمالى ممسك النعل وكان يطلق على من يقوم بحمل نعل السلطان أو الأمير عند خلعه للصلاة وغير ذلك . انظر . القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٥٩ ؛ ضوء الصبح ، ص ٣٤٤ ؛ المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ١٨٥٤ ، جـ ١ ، ص ٤٠٢ . وكان يشغل هذه الوظيفة فى عصر المماليك بعض الخاصكية . ولم يكن رجال الدين والفقهاء يقرون هذه الوظيفة وكانوا يعتبرونها من أقبح البدع لما كانت تدل عليه

فى نظرهم من رعونة وحمق واستعلاء . انظر حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ .

(٣٣) Mayer, Saracenic, p. 5 ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٤٠٢ ؛ حسن الباشا ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ على حين ذهب أبو الفداء إلى القول بأن النعل علامة أميراخور . انظر المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ .

(٣٤) اسم وظيفة مركب من لفظتين : الأولى جمق التركية بمعنى الدبوس ، والثانية دار الفارسية بمعنى ممسك . والمعنى الكلى حامل الدبوس وكان يشغل هذه الوظيفة فى الدولة المملوكية أحد العسكريين وهى وظيفة استعراضية مهمة صاحبها أن يقف فى أيام مواكب الحلقة إلى جانب السلطان من الجهة اليمنى رافعاً بيده ببعض تمايل بدبوس كبير الرأس مموه بالذهب ويظل شاخصاً إلى بصر الملك ولا يشخص لغيره إلى أن ينفض الموكب . انظر حسن الباشا ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦٠ . وكان يشترط فيمن يشغل هذه الوظيفة أن يكون حسن الشكل عظيم الهيئة مهابا . انظر المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٧٦٦ . هذا وقد عثر على كتابة أثرية تشير إلى هذه الوظيفة على كسرة من الفخار المطلى فى مجموعة غالب (بك) بالقاهرة . انظر :

Mayer, A. New Heraldic Emblem of the Mamlûks, Ars Islamica, IV. (1937). p 350.

(٣٥) Mayer. New Heraldic, p. 346 .

(٣٦) البريدى نسبة إلى البريد وهو رسول البريد أو ناقله . الجميع بريدية . وكان البريدية فى عصر المماليك يختارون من المماليك السلطانية ، انظر خليل الظاهرى ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ١٨٩٤ ، ص ١١٦ .

(٣٧) ورد هذا الرنك مصحوباً بكتابة أثرية باسم علاء الدين البريدى ، على سبيل البريدى بالقرب من جامع البريدى بدمشق . انظر :

Mayer, Saracenic, p. 52, pl. XLIV, fig. 3.

(٣٨) اسم وظيفة مركب من لفظتين فارسيتين هما طبر بمعنى الفأس ودار بمعنى ممسك أى أن المعنى الإجمالى ممسك الفأس . وهى من الوظائف التى عرفت فى دولة المماليك . وكان الطبردار مهمته أن يجعل الطبر أو الفأس حول السلطان عند ركوبه فى المواكب لحراسته . انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٥٨ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٤٢٧ . وكان الطبردارية يختارون من بين المماليك السلطانية . انظر خليل الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٦ .

(٣٩) يوجد رسم يمثل الفأس على أحد الرنوك ، انظر :

Mayer, Saracenic, p. fig. 17 .

(٤٠) لمعرفة أنواع السيوف الإسلامية . انظر عبد الرحمن زكى ، السيف فى العالم الإسلامى ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٢٢ — ١٥٨ .

(٤٩) ذكر أبو الفداء فى كتابه المختصر ، جـ ٤ ، ص ٨٧ انه كان هناك سلحدار بسيفين معلقين على كتفه كما ورد هذا الرنك على قاعدة شمعدان بمجموعة هرارى بلنـدن باسم طغيدمر السلحدار الملكى الناصرى . انظر :

Mayer, Saracenic, pp 231-232, pl. XXXVI.

(٤٠) أبو الفرج العش : الفخار غير المطلى ، ص ١٨٠ .

(٤٣) Mayer, Saracenic, pl. X, fig, 5 .

(٤٤) Mayer, Saracenic, pl. X, fig. 2 .

(٤٥) حسن الباشا ، الفنون الإسلاميـة والوظائف ، جـ ١ ، ص ٣١٩ ؛ K. Otto-Dorn, L'Art de l'Islam, Paris 1967, p 161; D et J. Sourdel, La Civilisation de l'Islam Classique, Paris 1968, fig. 211.

(٤٦) كان كاترمير أول من فسر هذا الرنك ، انظر :

M. Quatremère, Histoire des Sultans Mamlouks de l Egypte, Paris 1844-1845, I, p. 204 .

(٤٧) Mayer, Saracenic, pl. XI, figs, 9, 10 .

(٤٨) Mayer, Saracenic, pl. VI ؛ زكى حسن ، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٦٩ ، شكل ٥١٧ ؛ معرض الفن الإسلامى فى مصر ، أبريل ١٩٦٩ ، شكل ٥١٢ .

(٤٩) D. L. Rice, L' Art de l' Islam, Paris 1966, fig. 135; معرض الفن الإسلامى ، شكل ١٤

(٥٠) أبو الفرج العش ، الفخار غير المطلى ، ص ١٧٦ .

(٥١) Mayer, Saracenic, p. 10. ؛ زكى حسن ، فنون الإسـلام ، ص ٣٢٦ .

(٥٢) Mayer, Saracenic, p. 40

(٥٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٤٤٤ ؛ ابن إياس ، صفحات لم تنشر ، ص ٢٩ .

(٥٤) أبو الفرج العش ، الفخار غير المطلى ، ص ١٨٢ ؛ زكى حسن ، أطلس الفنون الزخرفية ، ص ٦٥ شكل ٢٠٠ ، ص ١٧٢ ، شكل ٥٢٥ .

(٥٥) رقم السجل ٣٧٠٩ .

(٥٦) Mayer, Saracenic, p. 15, pl. LII, fig. 2.

(٥٧) F. R. Martin, Altere Kupferarbeiten aus dem Orient, Stockholm 1902, pl. II et III.

(٥٨) Y. Aıtin, Contribution, p. 180, fig 309.

(٥٩) Mayer, Saracenic, pl. XXXVIII.

(٦٠) رحلة ابن بطوطة ، باريس ١٩٦٨ ، جـ ٤ ، ص ٦٩ .

(٦١) ومن أمثلة ذلك رنك السيفى قانيباى الجركسى أمير آخور الملكى الظاهرى وهو يتألف من ثلاث مناطق أفقية فى العليا رسم سيف والوسطى دواة والسفلى كأس بين قرنى بارود انظر :

Mayer, Saracenic. pp. I67, 177.

(٦٢) Mayer, Saracenic, pl. X, fig 6, et 7.

(٦٣) Mayer. Saracenic, pl. X, fig. 13, et. 14

(٦٤) حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .

(٦٥) Dozy, Supp. Dict. Ar., I, p. 432.

(٦٦) Mayer, Saracenic, pl. XII, fig. 1 et 2.

(٦٧) Mayer, A. New Heraldic, p. 350.

(٦٨) Mayer, Une Enigme du Blason Musulman, BIE, XXI, (1939), pp. 141–142.

(٦٩) المحرز ، الرنوك المملوكية ، ص ٤٦٥ .

(٧٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١٧٢ ؛ أبى الفضائل ، النهج السديد ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٧١) محمد مصطفى ، الوحدة فى الفن الإسلامى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٤٠ ، شكل ٢١ .

(٧٢) Mayer, Saracenic, pp. 5, 17, pl. XLIV.

(٧٣) Quatremère, Sultans, II, p. 87 ؛ حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٧٤) Mayer, Saracenic, p. 19.

(٧٥) ابن حجر ، رفع الأصر عن قضاة مصر ، القاهرة ١٩٥٧ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ١٠١ .

(٧٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٧٢٩ . حيث ذكر أن هذه الفكهية بلغت فى بعض الأحيان خمسة قناطير من العاج .

(٧٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٤٩ .

(٧٨) Mayer, Saracenic, p. 69,

Mayer, Saracenic, p. 192, pl. XLII, fig. 6. (٧٩)

Mayer, Saracenic, pp. 240—241. (٨٠)

(٨١) اختلفت الآراء بصدد نوع هذه الزهرة هل هى لوتس أم زنبق . فمن العلماء من أطلق عليها اسم لوتس مثل زكى حسن ، فنون الإسلام ، ص ١٣٦ ؛ حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، ج ٣ ، ص ١٠٤٤ . ومنهم من أطلق عليها اسم الزنبق مثل أحمد تيمور ، التصوير عند العرب ، القاهرة ١٩٤٢ ، ص ٣٣ ؛ أبو الفرج العش ، الفخار غير المطلى ، ص ١٧٧ .

والحق أنه يبدو لنا أن هـــذه الزهرة ما هى إلا اللوتس المصرية القديمة التى تعرضت خلال عصر الأسرة الثامنة عشر من عصر الدولة الحديثة لشىء من التحوير والتجريد أكسبها شكلها الحالى وجعلها أقرب إلى الزنبق منها إلى اللوتس ومن ثم حدث هذا الخلط كما سبق ذكره . انظر أحمد يوسف ، الزخرفة المصرية القديمة ، القاهرة ١٩٣٣ ، ص ١٦٢ .

(٨٢) عن هذه اللعبة انظر :

Quatremère, Sultans; I, p. 242;

J. T. Reinaud, De L' Art Militaire chez les Arabes au Moyen - Age, JA, XII, (1848), pp. 219 — 221; A. Boudot – Lamotte, Contribution â 1' Etude de 1' Archerie Musulmane, Damas 1968, p. 29.

(٨٣) المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١١١ ؛ السلوك ، ج ١ ، ص٥١٨ .

(٨٤) Ahmad Abd ar - Râziq, Notes on islamic graffito ware of the Near East, Annales Islamologiques, IX (1970), pl. XX/A, XXI/2.

(٨٥) جـــورج فيرجسون ، الرموز المسيحية ودلالتها ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٧١ .

(٨٦) محمد مصطفى ، شرف الأبوانى سنة ١٩٤٠ ، ص ١٦٠ ، مؤتمر الآثار العربية ؛

Ahmad Abd ar – Râziq, Documents sur la poterie d'époque mamlouke, Sharaf al — Abwânî, Annales Islamologiques, VII (1967), p. 27.

(٨٧) Mayer, Saracenic, pl. V.

(٨٨) Mayer, Saracenic, pl. XI, fig. 6.

(٨٩) Rowe, The Palestine expedition, report of the 1928 season in Muesum journal (1929), p. 55.

(٩٠) Mayer, Sarcenic, p. 22.

(٩١) زكى حسن ، فنون الإسلام ، ص ٣٢٦ .

(٩٢) السنجق جمع سناجق وهى رايات صغر تربط بطرف الرماح ويحملها السنجقدار انظر . القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٨ ؛ جـ ٥ ص ٤٥٦ .

(٩٣) القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٤ .

(٩٤) Mayer, Saracenic, p. 24.

(٩٥) Y. Artin, Contribution, p. 96.

(٩٦) استعملنا هنا لفظ السبع لأنه يعنى كل حيوان مفترس وأخصها الحيوانات الشبيهة بالأسد والفهد .

(٩٧) Mayer, Saracenic, p. I, fig. let 3 ؛ زكى حسن ، أطلس الفنون الزخرفية ، ص ٦٥ ، شكل ٢٠٠ .

(٩٨) أبو الفرج العش ، الفخار غير المطلى ، ص ١٧٨ .

(٩٩) ابن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، بولاق ١٣١٢ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(١٠٠) زكى حسن ، أطلس الفنون الزخرفية ، ص ٦٤ ، شكل ١٩٧ .

(١٠١) Y. Artin, Contribution, p. 93.

(١٠٢) Goodyear; The grammar of the Lotus, p. 21, fig. 9.

(١٠٣) أحمد بدوى ، هردوت يتحدث عن مصر ، ص ١٢٦ .

(١٠٤) Lane-Poole, The art ot the Saracens in Egypt, London 1886, p. 270; Artin, Contribution, p. 96; Gayet, L' Art Arabe, Paris 1894, p, 281.

(١٠٥) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ١١٠ .

(١٠٦) Mayer, Saracenic, pp. 7, 10

(١٠٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٢٥ .

(١٠٨) ذكر كريسول أن المقطع الأخير من الإسم برس معناه فهد فى اللغة التركية ، انظر :

Greswell, The works of sultan Baibars al-Bunduqdarî in Egypt, BIFAO, (XXVI), Le Caire 1926, pp. 141, 144, 147.

(١٠٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٣٦٨ ؛ Lane — Poole, Saracens. p. 4

(١١٠) جمال محرز ، الرنوك المملوكية ، ص ٤٦٦ ؛ Mayer, Saracenic, p. 10.

(١١١) Mayer A propes du blason Sous les Mamlûks, Syria, (1939), p. 390.

(١١٢) وصلتنا خالة شاذة استعمل فيها الخرطوش لأحد الأمراء وهو أمير دولاتباى الذى يرجح أنه كان والى غزة ، انظر ، Mayer, Saracenic, p. 9. وربما يفسر اتخاذ هذا الأمير للدرع تشبهاً بالسلاطين لضعف السلطان فى عهده .

(١١٣) Mayer, Saracenic, p. 34.

(١١٤) Bourgoin, Précis de l'art arabe, Paris 1892, I, p 6, pl. XXXI.

ويلاحظ أن هـذا الخرطوش يتضمن سطران من الكتابة فقط والثالث الأسـفل به زخارف عربية مورقة (أريبسك) .

(١١٥) Mayer, Saracenic, p. 31 ؛ ابراهيم طرخان ، مصر فى عصر المماليك الجراكسة ، ص ٣٢٩ ؛ محمد مصطفى ، الرنوك المملوكية ، ص ٢٧١ .

(١١٦) Mayer, Saracenic, pp. 31 – 32.

(١١٧) Mayer, Saracenic, p. 95. ؛ حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٥٥٠ .

(١١٨) محمد مصطفى ، الوحدة فى الفن الإسلامى ، ص ٣٦ ، شكل ٤١ .

(١١٩) حسن الباشا ، الفنون الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٣٢ .

(١٢٠) G. Weit, Lampes et bouteilles en verre émaillé, Le Caire 1929, p. 97, pl. LXXXIX.

(١٢١) Mayer, Saracenie, pp. 176 - 177.

(١٢٢) ابراهيم طرخان ، مصر فى عصر المماليك الجراكسية ، ص ٣٢٨ ؛ محمد مصطفى ، الرنوك المملوكية ، ص ٢٧٠ .

(١٢٣) Mayer, Saracenic, p. 33.

(١٢٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٤٠ ؛ المنهل الصافى ، جـ ١ ، ص ٣ .

(١٢٥) ذكر ماير أن رجال الدين كانوا يختارون رنوكهم ويرتبونها بطريقة تختلف تماماً عن رنوك طبقة المماليك الحكام انظر .

Mayer A Propos du blason sous les Mamlûks, p. 391.

(١٢٦) جمال محرز ، الرنوك المملوكية ، ص ٤٦٧ .

(١٢٧) أى كأس ، انظر .

Dozy, Supp. Dict. Ar., II, p. 765.

(١٢٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .

(١٢٩) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(١٣٠) Mayer, Saracenic, p. 7 ويناقض هذا ما ذكره كل من :

Van Berchem, Notes d'archéologie arabe, III, JA. (1904) p. 78, n. 2; Y. Artin, Contribution, pp. 43, 181, 227; Trois différentes armoiries de Kait Bay, BIE, (1888), p. 74.

(١٣١) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ .

(١٣٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٨ ، ٩ .

(١٣٣) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .

(١٣٤) الصفدى ، تحفة ذوى الألبـاب ، مخطوط مصور — دار الكتب المصرية ٢١٠٢ تاريخ ، جـ ٢ ، ورقة ١٥٦ .

(١٣٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٣٤ .

(١٣٦) Mayer, Saracenic, p. 29.

(١٣٧) Fox – Davies & Arthur Charles, A Complete guide to heraldry, 2e éd. London 1925, pp. 1—12.

(١٣٨) من الأمثلة على ذلك أن شعار القبائل المصرية القديمة قبل توحيدها كان عبارة عن علم به رسم يرمز لمعبود القبيلة .

(١٣٩) ابن خلدون، المقدمة ،القاهرة ١٩٣١ ،ص٢١و٢٤٢و٢٦١ ؛ جرجي زيدان، التمدن الإسلامى ، القاهرة ١٩٠٢ ، ص ٨٧ .

(١٤٠) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٩ .

(١٤١) أبو الفرج العش ، الفخار الغير مطلى ، ص ١٧٦ .

(١٤٢) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٠٥ .

(١٤٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .

(٤٤) وجدت رنوك شخصية فى الشرق مثـــل رنك بيبرس ورنك نور الدين محمود ابن زنكى ورنك جمال الدين أقوش وغيرها من الرنوك التى لا تشير إلى الوظائف .

(١٤٥) جون هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الخامس ، ص ٣٨٨ .

(١٤٦) فى مجموعة بودرى بالقاهرة إناء من النحاس باسم ارقطاى نائب المملكة الصفدية عليه رنك على هيـــئة المفتاح . وأرقطاى يعرف بحاجى أرقطاى وكان فى أصله مملوك الأشرف خليل بن قلاوون وقد ولى نيابة صفد فى سنة ٧١٨ / ١٣١٨ . انظر حسن الباشا ، الفنون والوظائف جـ ٣ ، ص ١٢٦٥ .

(١٤٧) جون هامرتن ، المصدر السابق ، ص ٣٩٢ — ٣٩٣ .

(١٤٨) هو هامرتن ، تاريخ العالم ، ص ٣٩٢ .

(١٤٩) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .

(١٥٠) حسين راشـد ، الرنوك فى مصر ، مجلة السياحة ، ديسمبر ١٩٥٨ ، ص ٢١ — ٢٢ .

(١٥١) زكى حسن ، تراث الإســـلام ، ص ٥٩ — ٦٠ ؛ محمد مصطفى ، الرنوك المملوكية ص ٥٦٨ ؛

Fox – Davies, A Complete gnide, p. 13.

(١٥٢) جون هامرتن ، تاريخ العالم ، ص ٣٩٠ .

(١٥٣) أبو الفرج العش ، الفخار غير المطلى ، ص ١٧٨ .

(١٥٤) زكى حسن ، تراث الإسلام ، ص٥٩ .

(١٥٥) جون هامرتن ، المصدر السابق ، ص ٣٨٩ .

(١٥٦) لم يمنع هذا من وجود بعض الحالات توارث فيها الرنك فى الشرق مثل رنك بيبرس الذى حمله ابنه بركة خان .

(١٥٧) عبد العزيز مرزوق ، الفن المصرى الإسلامى ، ص ٨٩ .

(١٥٨) أحمد تيمور ، التصور عند العرب ، ص ٣٣ .

(١٥٩) جمال محرز ، الرنوك المملوكية ، ص ٤٦٨ .

(١٦٠) Lane – Poole, The Saracens, p. 70.

(١٦١) Mayer, Saracenic, pp. 40 - 41.

(١٦٢) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١١٣ — ١١٤ .

(١٦٣) على ابراهيم حسن ، دراسات فى تاريخ المماليك ، ص ٢٠٠ .

(١٦٤) حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٥٧٩ .

(١٦٥) Ahmad Abd ar - Râziq, La femme au temps des Mamlûks en Egypte. Le Caire 1973, pp. 58, 65.

(١٦٦) Mayer, Saracenic, pp. 41– 42: D. S.Rics, Blazons of Mamluk Ladies. BSOAS, XIV/III, (1952), pp. 573 — 578.

(١٦٧) ابراهيم طرخان ، مصر فى عصر المماليك الجراكسة ، ص ٣٢٧ .

(١٦٨) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ ١ ، ص ٦٣٩ ؛ الصفدى ، تحفة ذوى الألباب ، ورقة ١٩٤ .

(١٦٩) M. Herz, Catalogue raisonné du Musée Arabe du Caire, Le Caire 1906, p. 209.

(١٧٠) A. Marzouk, Egyptian sagraffito ware excavted at Kom ed - Dikka, Bulletin of the Faculty of art, Alex. Univ. XIII, (1959), p. 17.

(١٧١) Mayer, Saracenic, p. 22: Marzouk, Sagraffito, p. 10: Ahmad Abd ar - Râziq, Graffito ware; p. 184.

(١٧٢) أبو الفرج العش ، الفخار غير المطلى ، ص ١٧٨ . فى حين ذكر الدكتور مرزوق أن أول ما اتخذه كان بيبرس الصالحى انظر .

Marzouk; Sagraffito, p. 19.

(١٧٣) Mayer, Saracenic, pp. 13,14 ؛ حسن الباشا ، الفنون والوظائف، جـ ١ ، ص ٣١٩ .

(١٧٤) Mayer, Saracenic, pp. 135, 136; Marzouk Sagraffito, p. 19: Ahmad Abd ar - Râziq, Graffito, p. 184.

(١٧٥) Mayer, Saracenic, p. 112: Ahmad Abd ar - Râziq, La Poterie Glacée de l'Epoque Mamlouke, (Thése dactylographiée), Paris 1970, p. 169.

(١٧٦) Mayer, Saracenic, pp, 52, 98; Marzouk, Sagraffito, p. 19; Ahmad Abd ar-Râziq, Graffito ware, p. 184.

(١٧٧) Mayer, Saracenie, p. 260: Ahmad Abd ar-Râziq, La Poterie Glacéé, p. 163.

Mayer, Saracenic, p. 240: Marzouk, Sagraffito, p. 19: (١٧٨)
Ahmad Abd ar-Râziq. Craffito were, p. 184.

Mayer, Saracenic, pp. 189, 190: Marzouk, (١٧٩)
Sagraffito, p. 19: Ahmad Abd ar-Râziq, Graffito ware, p. 184.

Mayer, Saracenic, p. 241: Ahmad Abd ar-Râziq, (١٨٠)
La Potere Glacée, p. 166.

Mayer, Saracenic, p. 54: Ahmed Abd ar-Râziq, (١٨١)
La Poterie Glacée, p. 159.

Mayer, Saracenic, p. 67: Marzouk Sagraffito, p. (١٨٢)
19: Ahmad Abd ar-Râziq, Graffito ware, p. 184.

Mayer, Saracenic pp. 59, 60: Ahmad Abd ar-Râziq, (١٨٣)
La Poterie Glacée, p. 161.

Mayer, Saracenic, p. 194: Ahmad Abd ar-Râziq, (١٨٤)
La Poterie Glacée, p. 157.